بصائر تربوية

راجعه

د. عمر سليمان الأشقر

دار النفائس

بصـــائر تربـويـــة

الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م

دار النفائس
للنشر والتوزيع

الاردن ـ عمان ـ العبدلي ـ مقابل جوهرة القدس
هاتف: ٤٠ ٣٩ ٦٩ ـ فاكس: ٤١ ٣٩ ٦٩ ـ ص.ب: ٢١١٥١١

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة مراجع البصائر

الحمد لله الذي هدانا بالإسلام إلى أفضل السبل وأقومها ، وأصلى واسلم على من بعثه ربّه داعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وأصلى على أصحابه من بعده أنوار الدجا ودعاة الهدى ، وعلى من اتبع سبيلهم من بعدهم ، وبعد :

فيسرني أن أضع بين أيدي أبناء الإسلام هذه التوجيهات التربوية التي عنون لها مؤلفوها بالبصائر التربوية .

وسيجد القراء في هذه البصائر نمطا متميزاً في التوجيه والتعليم والتربية ، كل بصيرة تتناول قضية ذات أهمية خاصة ، اختيرت بعناية وصيغت صياغة متأنية بروح إيمانية عالية ، وكثرت في البصائر اللفتات والتوجيهات .

وكان لكاتبي هذه التوجيهات أمل كبير في أن يستمر صدورها ويمتد عطاؤها ، ولكنها توقفت بتوقف كاتبيها بسبب تفرقهم في أقطار الأرض بعد أحداث الخليج ، كانت فكرة هذه البصائر نابعة من إرادة خيرة من بعض طلبة العلم ، أحبوا أن يشغلوا وقتهم بما يفيدهم ويفيد غيرهم ، فكانوا يلتقون بين الفينة والفينة في مجالس يأتمرون فيها بالمعروف ويتباحثون فيما فيه خير المسلمين ،

وكانت هذه البصائر إحدى الثمرات الطيبة التى صدرت عن تلك المجموعة الخيرة .

إن هذه البصائر نبضات قلوب مؤمنة محبة للخير ، أرادت أن تبصر عباد الله في أرض الله بالواقع الذي تعيشه ، والغائب الآتي في الآخرة ، كما تدعو إلى تقويم النفوس وتهذيبها ، وبذل الجهود الطيبة في رفعة شأن الاسلام وعزته ، وهي تحذر التحذير المبصر من المتآمرين على الإسلام من داخل المجتمعات الإسلامية ومن خارجها ، تبصر بهم ، وتحذر منهم ومن أعمالهم ، خاصة اليهود و أولياؤهم .

لم أكتب كل هذه البصائر ، ولكنني كتبت بعضها وشاركت في تقويم مالم أكتبه منها ، وقمت بعد ذلك بعبء إعدادها للطبع ، كما قمت بتصحيحها .

آمل أن تقوم هذه البصائر بدورها الذي هدفت إليه ، فتحيي موات القلوب ، وتنير ظلمات العقول وتسهم في معالجة بعض المشكلات التي يعانى منها الأفراد والأسر والمجتمعات الإسلامية .

نسأل الله أن يكتب الأجر والمثوبة لكاتبيها وقارئيها وناشرها.

والحمد لله رب العالمين .

د. عمر سليمان الأشقر

المقدمة

الحمدلله الذي غَمَر العباد بنعمه التي لا تحصى، وسع سمعه الأصوات، وأحاط علمه بكل شيء، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله محمد، صاحب البصيرة الكاملة، الذي حمل أمانة الله وقام بها خير قيام، وعلى آله وصحبه الذين نشروا الهدى والعلم في أرجاء الأرض، وبعد:

فإن هذه المقالات تحمل إليك عبر سطورها نسمات الحب والودّ والإخاء. وتضم في طياتها لفتات صادقة تهدف إلى إضاءة القلب، وتقويم الفكر، والهداية لما هو أقوم وأصوب.

وعهدنا في أحبتنا أنهم كرماء. والكرماء إن جاءهم وافد قوم أكرموه، وأحسنوا وفادته، وأَحَلُّوه من أنفسهم المحل اللائق به.

وإكرام وافدنا يتحقق بتخصيص جزء من وقتك الثمين للاطلاع والمدارسة، ثم العمل بالتوجيهات التي يحملها الوافد، والاتعاظ بالمواعظ التي يعظ بها.

إن وافدنا وليد جديد، وهو يخطو اليوم خطواته الأولى إليك، فلا تطلب منه وهو في عهد الطفولة، ما يطلب من

الرجال في عهد الكهولة، إن هذا الوليد وجد ـ إن شاء الله ـ سَوِيّا، ولكنه صغير، لم يكتمل نموه، ولم يصلب عوده بعد. ونرجو له على مر الأيام أن يصلب عوده، ويطول عمره، ومن ثَمَّ يكثر عطاؤه، حتى يصبح دوحة وارفة الظلال تعطى أكلها كل حين بإذن ربها.

ونريدك قارئنا الكريم أن تتفاعل مع ما كتبناه، وذلك بتقويم ما كتبنا، ثم بالاستفادة منه، ونشره ليصل إلى أكبر قطاع من الذين نرجو ان يحيي قلوبهم، ويزودهم بزاد يستفيدون منه الإيمان والعلم، وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه.

البصيرة الأولى

كن صاحب بصيرة

أول بصيرة نهديها إليك مشتقة من اسم كتابنا هذا، إننا ندعوك إلى أن تكون صاحب بصيرة، وأصحاب البصيرة يُمَثِّلُونَ في الدعوات جيل القمة ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾(١)، وأصحاب البصيرة يمثلون الفئة الواعية، فقد مدح رب العباد عباد الرحمن في آخر سورة الفرقان بقوله ﴿الذين إذا ذُكِّروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا﴾(٢).

والإنسان يملك قوتين للإبصار، قوة في ناظريه، وقوة في قلبه، فإذا أعطي القوة الأولى كان صاحب بصر، وإذا أعطي القوة الثانية كان صاحب بصيرة، فإن فقد القوة الأولى كان أعمى البصر، وأن فقد القوة الثانية كان أعمى البصيرة، وفي

(١) سورة يوسف: ١٠٨
(٢) سورة الفرقان: ٧٣

ذلك يقول رب العزة ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[٣]، والآية تصف حال أكثر الخلق، فإن عيونهم مبصرة، ولكن قلوبهم عمياء، لأنها لا تعرف الحق ولا تدركه، وهؤلاء يحشرون في يوم القيامة عميا لا تبصر عيونهم، لأن قلوبهم عميت عن الحق في الدنيا، ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾[٤] والجزاء من جنس العمل.

وصاحب البصيرة هو الذي يكون قلبه مبصرا، وقد قال علماؤنا في تعريف البصيرة «هي قوة في القلب تدرك بها القلوب الحق».

والقلب يكون مبصرا إذا كان حيا يغمره الضياء، فإذا فقد الحياة أو فقد النور فإنه يموت أو يعمى، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء﴾[٥] فالوحي روح لأرواحنا يحيي موات النفوس، ﴿أو

(٣) سورة الحج: ٤٦

(٤) سورة طه: ١٢٤ ـ ١٢٦.

(٥) سورة الشورى: ٥٢

من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس﴾[٦] فالإنسان بدون الوحي ميت القلب والوحي نور يمد القلب بالضياء، والإنسان لا ينتفع بالقوة القلبية التي يدرك بها الحق إلا إذا عاش القلب في النور، ومثله في ذلك مثل الأبصار، لا ينتفع بها أصحابها إلا في ضوء الشمس أو نور المصابيح، أما إذا عم الظلام وليس هناك بصيص من نور فلا فرق في هذه الحالة بين المبصر والأعمى، لأن المبصر لا يمكنه أن ينتفع بناظريه إن لم يكن نور.

والنور الذي ينير القلب، ويجعله مبصرا نور الكتاب الإلهي الرباني وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى **﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾**[٧].

وهذه الآية تضرب مثلا لنور الله في قلب عبده المؤمن، فقد شبه القلب بالمشكاة فيها مصباح، يوقد هذا المصباح من

(٦) سورة الأنعام: ١٢٢
(٧) سورة النور: ٣٥

شجرة صاف زيتها على النحو الذي ذكره رب العزة، والمصباح هو قلب المؤمن الذي يستمد ضوءه من كتاب الله.

ولذلك عقب الله على هذا المثل الذي ضربه بذكر أصحاب القلوب المضيئة الذين يعمرون بيوت الله، ولا يلهيهم عن ذكر الله وإقام الصلاة بيع ولا شراء ﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار**﴾(٨) هذا هو النمط الذي أضاء القرآن قلوب أصحابه، فأصبحوا أصحاب بصيرة، يعمرون بيوت الله ذاكرين الله في الغدو والآصال، لا تلهيم عن هذه المهمة العظيمة لا التجارة ولا البيع، امتلأت قلوبهم خوفا من الله وخوفاً من الوقوف بين يديه، ﴿**يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار**﴾(٩).

إن آيات الكتاب تُبْصِّرُ القلب من العمى، وتخلصه من الجهالة، وتهديه من الضلالة، وفي ذلك يقول رب العزة ﴿**هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**﴾(١٠) ويقول ﴿**هذا**

(٨) سورة النور: ٣٦ - ٣٧
(٩) سورة النور: ٣٧
(١٠) سورة الاعراف: ٢٠٣

بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾[11].

فإن شئت أن تكون من أصحاب البصيرة النيرة فاسلك المسلك الذي يوصلك إلى الغاية التي تريد، عليك أولا أن تعايش كتاب الله تلاوة ودراسة وحفظا، ثم تعمل بتوجيهاته وتتأدب بأخلاقه وتتفكر في معانيه وأمثاله، **﴿قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه، ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ﴾**[12] والذاكرون الله كثيراً والذاكرات يحيون قلوبهم بذكر الله، ويجلبون لها الاطمئنان **﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾**[13].

والذين يقيمون الصلاة تحيا نفوسهم، فتعرف الحق، وتبادر إلى إنكار الباطل **﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾**[14] والمداومة على صلاة الليل زاد يعين على تحمل أعباء الدعوة، ومواجهة الصعاب التي تكتنف الحياة من كل جانب **﴿يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا إنا سنلقي عليك قولا**

(١١) سورة الجاثية: ٢٠
(١٢) سورة الأنعام: ١٠٤.
(١٣) سورة الرعد: ٢٨.
(١٤) سورة العنكبوت: ٤٥

ثقيلا، إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا﴾[15] ودعاء الله بقلب حاضر، والاستعانة به، والتوكل عليه، وحبه ورجاؤه - كل ذلك رباط متين يربط القلوب بخالقها، ويجلب لها الرشد والصلاح **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾**

اللهم اجعلنا من الراشدين أصحاب البصائر النيرة، والقلوب المطمئنة، اللهم بصرنا من الضلالة، وأنقذنا من الجهالة، واجعلنا هداة مهتدين، وصل على عبدك ورسولك محمد.

(١٥) سورة المزمل: ١ - ٦.

البصيرة الثانية

وقفة مع النفس

الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علماً، وقهر كل مخلوق عزة وحكماً، أحمده على نعمه التي لا تعدُّ ولا تحصى، وأصلي وأسلم على رسوله المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وعلى من اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

فإن هذه البصيرة تدعوك لأن تقف مع نفسك موقف المحاسب المذكر، فمن حاسب نفسه في الدنيا خفَّ في يوم المعاد حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت في ذلك اليوم حسراته، وطالت في عرصات القيامة وقفاته، ورحم الله الخليفة الراشد عمر بن الخطاب القائل: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا» والصنف الذي يديم الحساب لنفسه هو الصنف الذي يوصف برجاحة العقل، كما يوصف بالقوة والحزم، والذي تغلبه نفسه، ويسيطر عليه هواه، هو العاجز الذي فقد القوة

والعزم، وفي ذلك يقول المصطفى المختار صلوات الله وسلامه عليه: «الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني» والكيّس: العاقل، ودان نفسه: أي حاسبها.

ونحن ندعوك لتقف مع نفسك وقفتين: وقفة تحاسبها عما وقع وانقضى، ووقفة تبصرها بالمقبل الآتي. قف مع نفسك بين الفينة والأخرى ناظراً في أمسك الغابر، وَتَفَكَّر فيها أودعته بياض نهارك من قول أو عمل، وما تضمنه سواد ليلك من صمت أو فكر، وانظر إلى ما قدمته يداك، وما تحرك به لسانك، وما وقع عليه طرفك، وما استمعت إليه أذناك، وما مشت إليه قدماك، فإنك مسئول عن ذلك كله: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾[1].

وانظر في الحقوق التي كلفك الله القيام بها، فكانت عندك أمانة، هل أديتها كما طلب منك أم أنك ضيّعتها، وغلبك طبعك الظلوم الجهول؟.

وأول هذه الحقوق التي يجب أن تنظر فيها حق سيدك وإلهك ومولاك، رب العباد، فقد أمرك بأداء حقه بقوله: ﴿يأ يها

(١) سورة الإسراء: ٣٦.

لذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[٢]. وحقه تبارك وتعالى أن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر فلا يكفر، وأن يعبد وحده لا شريك له.

وكيف أنت في أيامك الغابرة من هذه التيارات التي تتصارع في عالم البشر؟ هل كنت قشة يتلاعب بها التيار؟ أم كنت صخرة تتحطم عليها الأمواج؟ أكان همك من دنياك لقمة تأكلها وشربة تشربها، ولباساً تلبسه؟ أم كنت صاحب دعوة ورسالة تريد أن تقيم حياتك وِفْقَهَا، وتريد إبلاغها للعالمين، ثم تريدها إطارا يحكم الحياة ويهيمن عليها؟.

ماالذي آلمك في أيامك الماضية؟ منصب لم تستطيع تحصيله؟ ودنيا لم تستطيع اجتيازها؟ أم أن دعوة الله هي التي تسيطر على كل خلجة في نفسك، فإذا علا منارها وارتفع لواؤها خفق القلب فرحاً، وتهادت النفس سروراً، وإذا أصابتها العواصف والأنواء دمعت العين، وحزنت النفس، وجأر اللسان يشكو إلى رب العباد ظلم العباد؟.

هل كنت في الماضي زارعاً تغرس بكلماتك الفضائل؟ وتنشر العطر بأفعالك؟ أم كنت تغرس الشر والأذى؟ أم كنت لا

(٢) سورة آل عمران: ١٠٢

في العير ولا في النفير؟.

أسئلة كثيرة يمكن أن توجهها إلى نفسك، تحاسبها عما مضى وانقضى، وتدرك بذلك صواب المسار وصدقه، ثم يأتي التقويم وفق ميزان الشريعة الإلهية.

والوقفة الثانية التي نريدك أن تأخذ نفسك بها هي وقوفك مع نفسك في الأوقات الآتية التي تمثل عمرك الباقي، وساعاتك القادمة، فإنَّ الماضي لا حيلة لك في إرجاعه، وإن كنت تستطيع أن تصلح ما فسد منه بالتوبة والإنابة والاستغفار، أما الآتي فإنك تملكه، وتستطيع بالعزيمة القوية والهمة العالية أن تستقيم على أمر الله، وتكون كما يريد الله، ولذا فإنه يتوجب عليك أن تستغل الفرصة فقد يكون اليوم الذي تحياه هو يومك الأخير، وقد تكون ساعتك التي أنت فيها هي الساعة الأخيرة، وكلنا يعلم أن له يوماً هواليوم الأخير، وساعة هي الساعة الأخيرة، فما يدريك متى تحين؟! إننا ندعوك لأن تعمل في يومك عمل من أيقن أن شمسه آذنت بالمغيب، فهو يودع دار الفناء، ويستقبل دار البقاء.

قد تقول لي: إنَّ لي نفساً شرودا جموحاً، كلما حاولت أن ألجمها بلجام التقوى، وآخذها بالعمل المرتضى دافعتني، وذهبت مني كل مذهب، فلا تنقاد إليَّ، ولا تستكين إلى الحق، فكيف

حيلتي مع هذه النفس الحرون، وكيف أداوي أدواءها، وكيف ألزمها الصراط المستقيم؟!

والجواب أنَّ النفس كالطفل الرضيع إنْ لم تفطمه عن ثدي أمه شب وهو يلتقم الثدي وإن فطمته انفطم.

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

ونفوسنا تحتاج إلى ترويض كي تستقيم على طاعة الله، وتتخلص من أدوائها كالظلم والجهل والعجلة، فقد وصف الله الإنسان بأنه ظلوم جهول عجول **﴿وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾**[٣] **﴿وكان الإنسان عجولا﴾**[٤].

ومفتاح النفس الإنسانية الذي تُقَوّم به وتتهذب جاء به الإسلام، فإذا هديت إليه انقادت نفسك واستقام أمرك.

إنَّ هذه النفوس إذا عرفت خالقها ومولاها ومعبودها ووقفت بين يديه، والتفتت إليه وشغلت به صفا معدنها، وتألق نورها، وهديت إلى صراط مستقيم.

أدم تذكير نفسك بالله، وتوجه إليه كأنك تنظر إليه، فإذ

(٣) سورة الأحزاب: ٧٢
(٤) سورة الإسراء: ١١.

لم تستطع أن تبلغ هذا المستوى فاعبده على أنه يراك، وهذه هي رتبة الاحسان، وتتحقق هذه الرتبة العالية كما قال الرسول ﷺ بأن: «تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

ذكّر نفسك بأن ربك وإلهك وسيدك مطلع عليك دائماً، أحاط علمه بكل شيء، وقد حدثنا الحق عن علمه الواسع الشامل فقال: ﴿ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾(٥).

وحدثنا ربنا عن إحاطة علمه بنا، في أعمالنا البادية، وأسرارنا الخافية فقال؛ ﴿قل إن تخفوا مافي صدوركم أو تبدوه يعلمه الله﴾(٦) ﴿ وهو الله في السماوات وفي الارض يعلم سركم وجهركم﴾(٧) ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه﴾(٨).

فإذا أيقنت النفوس بأنَّ الله بها عليم، وعليها رقيب، فإنَّها تحسن العمل وتتجافى عن الخمول والكسل، وما أحسن

(٥) سورة الأنعام: ٥٩
(٦) سورة آل عمران: ٢٩.
(٧) سورة الأنعام: ٣
(٨) سورة يونس: ٦١.

قول القائل:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل
خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تخفيه عنه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب
وأنّ غدا للناظرين قريب

وذكر النفس الشرود الجموح بنعمة الله عليك، خلقك خلقاً سوياً، وأكرمك بالعقل، ووهبك الحواس، وإذا أنت نظرت في هذا الكون الواسع تتأمل وتتفكر فإن القلب يخشع، والنفس تأنس بالله وهي ترى نعمه التي لا تعد ولا تحصى تحيط بها من كل جانب، تفكر في الشمس وأشعتها، والقمر وضيائه، والنجوم وتلألئها، والبحر وما حوى، والأنهار وما ضمت، والماء النازل من السماء والخيرات التي تنبتها الأرض، وما سخر الله لك من الأنعام.. كل ذلك يأسر النفس ويدفعها إلى أن تفر من عذاب الله إلى رحمة الله.

وذكّر نفسك بحقيقة الدنيا التي تهفو النفوس إليها وتقبل عليها، ذكّرها بأن أيامها زائلة، وزهرتها ذاوية، وزينتها فانيه، ومسراتها لا تدوم، وهي مع كل هذا متاع قليل وعارية

مسترجعة، وذكّرها بالنعيم المقيم في دار البقاء، التي لا يفنى أهلها، ولا يذوي منهم الشباب، ولا تذهب المسرات ﴿أكلها دائم وظلها﴾[٩] من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويسعد ولا يشقى.

فإن كان القلب أقسى مما تظن، وأبت النفس أن تلين، فوبخها توبيخ السيد عبده الآبق، وقل لها: ويحك يانفس، إن كانت جرأتك على معصية الله الاعتقاد أنَّ الله لا يراك، فما أعظم كفرك، وإن كان مع علمك باطلاعه عليك، فما أشد وقاحتك، وأقل حياءك.

ويحك يانفس، لو واجهك عبد من عبيدك بل أخ من اخوانك بما تكرهين، كيف كان غضبك عليه ومقتك له، فبأي جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه، أفتظنين أنك تطيقين عذابه: هيهات هيهات أنت أعجز من أن تطيقي نار الدنيا وعذابها، فكم أضناك حر الشمس في نهار الصيف، وكم هزّك زمهرير الشتاء، وكم أطار صوابك مسّ حديدة محماة.

فإن أبت إلا عناداً، ولجت في الخصومة والرعونة، فذكرها بالموت وسكراته، والقبر وآفاته وفتنته، وكيف يكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وذكرها باليوم الذي يفنى

(٩) سورة الرعد: ٣٥.

فيه الكون، ويخسف فيه شمسه، ويكسف قمره، وينفرط عقد نجومه، وتدك فيه الأرض والجبال، ثم ذكرها بالبعث والنشور عندما يقوم الناس لرب العالمين، حيث يحشر الناس حفاة عراة غرلا بُهْماً، يجمع الله الأولين والآخرين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، واعرض عليها شيئاً من أهوال ذلك اليوم، تلك الأهوال التي تجعل الوالدان شيبا، وتجعل الناس سكارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد. ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون، إنّما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتدُّ إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾[١٠].

وذكرها بحال السعداء أصحاب الجنان الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقر وأحسن مقيلا﴾[١١]

وفقنا الله وإياكم لأن نلجم أنفسنا بلجام التقوى، وأن نكون عباد الله المخلصين، الذين رضي عنهم وأرضاهم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١٠) سورة إبراهيم: ٤٢

(١١) سورة الفرقان: ٢٤.

البصيرة الثالثة

التوازن بين الأعمال والواجبات

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين، أما بعد..

فإنَّ من لوازم هذا الدين أن يكون المسلم متوازناً في أموره كلها، معتدلا في شئونه الخاصة والعامة، فلا غلو ولا تقصير، ولا إفراط ولا تفريط، ولا مبالغة ولا تهاون، وإنما اعتدال وقصد وتوسط.

والتوازن هو: إعطاء كل شيء حقه من غير زيادة ولا نقص. وهو ينشأ عن معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه، ومعرفة حدودها وغاياتها ومنافعها، وهو الحكمة المنوه بها في قولة تعالى: ﴿يُؤتي الحكمةَ من يشاء ومن يُؤتَ الحكمةَ فقد أوتيَ خيراً كثيراً، وما يذكَّرُ إلا أولو الألباب﴾[1].

(١) سورة البقرة: ٢٦٩.

فالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وتخليص الناس من كل ألوان العبوديه وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، واستنقاذهم من حياة الضنك التي يعيشون فيها نتيجة إعراضهم عن منهج الله تعالى هي من أخص خصائص المسلم، وأبرز مسئولياته، وهي الأمانة التي قَبل أن يحملها عندما رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولا.

قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾(٢).

والقيام على توجيه الأهل والأولاد وتعليمهم ما ينفعهم، وتوفير النفقات الضرورية لهم عن طريق العمل والاشتغال بالمعاش أمر شرعه الإسلام وقرره.

روى أبو داود عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت»(٣).

وكان النبي ﷺ رغم همومه الكبيرة ومشاغله الجمة في نشر الدعوة وإقامة الدين، وتربية الجماعة، وتوطيد دعائم الدولة،

(٢) سورة النحل: ١٢٥.
(٣) سنن أبي داود: ٢/١٣٢.

وحمايتها من الأعداء المتربصين بها في الخارج. فضلا عن تعلقه بربه، وحرصه على دوام عبادته بالصلاة والصيام، والتلاوة والذكر، حتى أنه كان يصلي بالليل حتى تتورم قدماه من طول القيام، ويبكي حتى تتبلل لحيته بالدموع، وعلى الرغم من هذا كله لم يغفل حق زوجاته وأولاده عليه.

ولم يقتصر في إشباع الحقوق على الجانب المادي وتغذية البطون وكسوة الأبدان، بل كان يغذي الروح بالتربية، والتوجيه، والعواطف والمشاعر بحسن المعاشرة وحسن الخلق، فقد كان يسرّب إلى عائشة - رضي الله عنها - بنات الأنصار يلعبن معها، وكانت إذا هويت شيئاً لا محذور فيه تابعها عليه، وكانت إذا شربت من الإناء أخذه ووضع فمه موضع فمها، وكانت إذا تعرقت عرقاً - وهو العظم الذي عليه اللحم - أخذه فوضع فمه موضع فمها.. الخ.

وقد جاء حنظلة وأبو بكر الصديق - رضي الله عنهما - إلى رسول الله ﷺ، فقال حنظلة: «نافق حنظلة يارسول الله» فقال رسول الله: «وماذاك»؟ قلت: «يارسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيراً - أي اشتغلنا بالزوجة والأولاد ومعايش الدنيا - فقال رسول الله ﷺ: «والذي

نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر لصافحتكم الملائكة، حتى تسلم عليكم في الطريق، ولكن ياحنظلة ساعة وساعة، ساعة وساعة، ساعة وساعة».

وقال ﷺ لعثمان بن مظعون حينما حلف أن يقوم الليل كله ويصوم النهار: «فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله ياعثمان فإن لأهلك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً. .».

ومقتضى هذا التوازن في حياة المسلم ألا يُغْرِقَ في هذا الجانب ويهمل المهمة الأصلية للداعية وهي: «البلاغ المبين» فهي حياته في الدنيا، وهاجسه الدائم، وهي نجاته في الآخرة ولا نجاة بدونها. قال تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾(٤).

وقد اعتبر الله القعود عن نشر الدعوة والجهاد في سبيل الله تهلكه كما في قوله تعالى: ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا

(٤) سورة التوبة: ٢٤.

بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾(٥).

روى الترمذي بإسناد صحيح عن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - قال: «نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سراً: إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها.. فأنزل الله يرد علينا ما قلنا، فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وترك الجهاد».

ومن المعلوم أن الانهماك في الدنيا والحرص على جمع الأموال ينشأ عند الإنسان في حالة غياب حقيقة الدنيا، وكونها دار ممر لا دار مقر، فقد جاءت الآيات والأحاديث لتركز هذه الحقيقة في قلب المسلم:

قال تعالى: ﴿إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار﴾(٦). وقال تعالى: ﴿وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾(٧) وقال تعالى: ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾(٨).

(٥) سورة البقرة: ١٩٥.
(٦) سورة غافر: ٣٩.
(٧) سورة الأنعام: ٣٢.
(٨) سورة العنكبوت: ٦٤.

وكان النبي ﷺ يقول: «مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قال في ظل شجرة ثم راح عنها». وقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

وكان الصحابة والصالحون يدركون هذه الحقيقة فلا يطيلون الأمل في الدنيا ولا يركنون إليها، وإنما يتزودون منها بقدر ما يوصلهم إلى الآخرة. كان علي بن أبي طالب يقول: «إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا »

ودخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا أبا ذر: أين متاعكم؟ فقال: إن لنا بيتا نتوجه إليه (يعني بالبيت الجنة). وقال يحيى بن معاذ الرازي: «الدنيا خمر الشيطان من سكر منها لم يفق إلا في عسكر الموت نادماً من الخاسرين» وقيل لمحمد بن واسع: كيف أصبحت؟ قال: «ما ظنك برجل يرتحل كل يوم مرحلة إلى الآخرة».

وقال بعض الصالحين: «كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته.. وسنته تهدم عمره، كيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله، وتقوده حياته إلى موته»؟ وقال الشاعر:

إنا لنفرح بالأيام نقطعها
وكل يوم مضى يدني من الأجل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا
فإنما الربح والخسران في العمل

فالواجب على الداعية المبادرة إلى الأعمال الصالحة والقيام بواجبات الدعوة قبل أن يدركه الموت فيحول بينها وبينه، قال تعالى: ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين، أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين﴾[٩].

وقال تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدَهم الموتُ قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت. كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾[١٠] فإذا كان الأمر على هذا فيتعين على الداعية اغتنام ما بقي من عمره لئلا يدركه الأجل وهو في حالة تقصير وتفريط.

(٩) سورة الزمر: ٥٤ ـ ٥٨.
(١٠) سورة المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠.

أخي المسلم إنك لا تدري ما اسمك غدا، أتكون مع الأحياء أم مع الأموات، يروى عن امرأة صالحة بمكة أنها إذا أمست قالت: «يانفس الليلة ليلتك لا ليلة لك غيرها فاجتهدت، فإذا أصبحت قالت: يانفس اليوم يومك لا يوم لك غيره فاجتهدت (أي في العمل)».

اللهم اجعلنا ممن يحسنون السير في طريقك وجنبنا التهاون والافراط والتفريط.

البصيرة الرابعة

هذا هو الطريق

الحمد لله عالم الغيب والشهادة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.. وبعد:

فعندما خلق الله تعالى النار قال لجبريل: «اذهب فانظر إليها، فنظر إليها ثم عاد فَزِعا، وقال: وعزتك وجلالك لا يدخلها أحد، فحفّها بالشهوات، وأمره أن ينظر إليها ثانية، فلما عاد قال: وعزتك وجلالك خشيت ألّا ينجو منها أحد، ولما خلق الله تعالى الجنة دعا جبريل لينظر إليها، فنظر ثم عاد وقال: وعزتك وجلالك لا تفوت أحدا من العالمين، فحفّها الله بالمكارة، وأمر جبريل أن ينظر إليها ثانية ففعل ثم عاد وقال: وعزتك وجلالك خشيت أن لا يدخلها أحد من العالمين».

عندما ذهب جبريل لينظر إلى النار وجدها ناراً سوداء مظلمة يركب بعضها بعضا، تكاد تميّز من الغيظ، وسمع زفيرها وشهيقها الذي تنخلع لهوله أجسر القلوب، ورأى مقامع الحديد

وملابس أهل النار والقطران ، وشراب الحميم والغسلين ، وطعام الضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ، وشجرة الزقوم طلعها كأنه رؤوس الشياطين ، ورأى فيها عقارب كالبغال وحيات كأعناق الإبل ، ورأى من الأهوال ما لم يخطر على قلب حي ، وما يشيب لهوله الولدان وأدرك جبريل أن لا أحد يجازف بالقدوم على مثل تلك المهالك ، ولكن لما حفت بالملذات والشهوات علم أنه لا ينجوا منها إلا من أعانه الله على نفسه ونصره عليها .

وصدق رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذ شبّه تهافت الناس على النيران بتهافت الفراش وهو آخذ بحُجَزِنا كي لا نقع ، ويأبى الناس إلا وقوعاً ، وبيّن القرآن ببلاغة منقطعة النظير تلك الجاذبية الهائلة المحيطة بجهنم فقال تعالى : ﴿ **فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز** ﴾[1] وكلمة زحزح توحي بصراع رهيب بين المرء والشهوات للإفلات منها .

وخلق الله تعالى الجنة وجعل فيها سبحانه للصالحين من عباده ما لم تسمع به أذن أو تبصره عين أو يخطر على

(١) سورة آل عمران : ١٨٥ .

قلب بشر ، وجعل فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ومنابر النور، وخيام اللؤلؤ والياقوت ، والحور العين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، مقصورات في الخيام لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جان ، وجعل حصباءها المرجان وترابها المسك الأذفر ، وجعل فيها من أنهار الخمر والماء العذب الزلال واللبن والعسل المصفى ما شاء ... فلما رأى جبريل ذلك كله أيقن أنه ما من أحد من العالمين يسمع بهذا إلا كان حرصه عليه عظيماً ، وأنها لن تفوت أحدا منهم ، ولكن لما حفها الله بالمكارة والتبعات والأعباء وحفها بعظائم التكاليف ، أدرك جبريل عليه السلام مشقة ذلك وصعوبته على النفس وأنه لا سبيل للخلوص إليها إلا بعد جهاد عظيم ، وتضحيات جسيمة ، وأنه لا يكاد يخلص إليها إلا ذو حظ عظيم ... وفي الحديث الذي رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: « يقول الله عز وجل : يا آدم . فيقول لبيك وسعديك ، والخير كله في يديك . قال : يقول : أخرج بعث النار . قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون . قال : فذاك حين يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ... » . وأقسم رب العزة في الذكر الحكيم بالعصر إن الإنسان لفي خسر لا محالة إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا

بالحق وتواصوا بالصبر. .

إن ما نريد الوصول إليه هو أن يدرك الجميع أن طريق الإسلام طريق شائك ذو تكاليف باهظة وأنه يجب على العبد المجاهدة والمصابرة والمكابدة ما عاش أبدا، فمن صبر ظفر ومن نكص خسر، وقد قصّ علينا الباري عز وجل قصصاً لأولي الألباب عن صبر الأولين على لأواء الدعوة وتبعاتها، فالسحرة آمنوا بموسى ففعل بهم فرعون مصر وطاغيتها آنذاك عجبا، إذ سمّل أعينهم، وقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلبهم في جذوع النخل، وثبتوا ثبات الرواسي الشم حتى لقوا ربهم صابرين محتسبين.

ومثال آخر رواه البخاري أن خباب بن الأرت جاء الرسول ﷺ وهو متوسد ببرده في ظل الكعبة، وقد لقي المسلمون من المشركين بلاء شديداً، فقال لرسول الله ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو محمر الوجه فقال: «قد كان من كان قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه. .» وترى هنا كيف أعرب رسول الله ﷺ عن غضبه إذ علا صوته واحمر وجهه على الذين يتوقعون أن يكون الأمر على غير ذلك، ورفض أن يدعو على

كفار قريش الذين كانوا يسومون المسلمين سوء العذاب، لأن الابتلاء طهور الدعوات، وما كان الله عز وجل ليذر المؤمنين على ما هم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب.

وقد قرر الحق هذه الحقيقة في محكم التنزيل فقال: **﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾**(٢).

إن الإيمان ليس كلمة تقال، إنما هو حقيقة ذو تكاليف، وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلى صبر، فلا يكفي أن يقول الناس آمنا، وهم لا يتركون لهذه الدعوى حتى تعرض عليهم الفتن تترى فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين.

إن الأمر جد لا هزل فيه، فاقدروا له قدره، واعلمو أنكم موقوفون غدا بين يدي الله عز وجل وسيسأل الصادقين عن صدقهم، فماذا أنتم مجيبون؟.

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن﴾(٣).

(٢) سورة العنكبوت: ٢.
(٣) سورة التوبة: ١١١.

هذا هو الطريق، لمن لا يعلم الطريق.. يرسمه الله عز وجل بنفسه، فقد اشترى - وهو المالك لكل شيء - من المؤمنين النّفِيسين: النفس والمال، فلم يعد لهم منهما شيء.. لم يعد لهم الخيار في أن يبذلوا أو يمسكوا، إنها الصفقة المشتراة، لشاريها حق التصرف بها كما يشاء وفق ما يشاء، وليس للبائع فيها شيء سوى أن يمضي في الطريق المرسوم لا يتلفت ولا يتخير، ولا يناقش ولا يجادل، ولا يماطل ولا يساوم.. فإن أدى ذلك كله قبض الثمن.. وياله من ثمن.. جنة عرضها السموات والأرض.. فهل من مدّكر؟

البصيرة الخامسة

واجب المسلمين نحو أهل فلسطين

الحمدلله الغالب على أمره، والصلاة والسلام على خير خلقه، وبعد:

ففي عصر الانحسار الكبير..

عصر الإحباط العارم الذي تعيشه الأمة المسلمة.

عصر الانكسار والتردي الذي تحياه هذه الأمة.

عصر الهزائم والنكسات التي منيت بها خير أمة أخرجت للناس أمام شر أمة أخرجت للناس: يهود، لما تقلد أمرها دعاة النار، شرار الخلق..

عصر اليأس والقنوط إلا من رحمة الله الذي تعيشه الأمة المسلمة شرقا وغربا..

عصر الجماهير المسلمة المكبلة المقيدة التي حيل بينها وبين قتال اليهود..

عصر المحاربة الشرسة التي يتعرض لها الشرفاء من المسلمين في النفس والمال والولد.

عصر الظلم والظلمات..
عصر الفتن الظاهرة والباطنة..

ترجف أرض فلسطين المباركة، تزلزل الأرض تحت أقدام يهود..

يخرج مسلمو فلسطين خفافاً وثقالا، رجالا ونساء، صغاراً وكباراً، شيباً وشبابا، يقاتلون يهود بالحجر والشجر..

يخرج مسلمو فلسطين ليعلنوا للعالمين أن هذه الأمة لن تموت، وما ينبغي لها أن تموت وبين ظهرانيها سر عزتها وسيادتها ـ كتاب الله وسنة رسوله ـ وما لها من رصيد تاريخي حافل بآيات المجد والفخار ما حازته أمه من الأمم من قبل ولا من بعد ولا حازت نصيفه..

يخرج مسلمو فلسطين المباركة من كل مسجد ينسلون يؤذنون في يهود وأولياء يهود أن هذه الأمة مرٌّ مذاقها، عسير هضمها مهما كبرت المؤامرة وتكاثر الخونة والمتاجرون..

يخرج مسلمو فلسطين أدبار الصلوات ، يرفعون المصاحف الشريفة بالأيادي البيضاء، يلوحون بالهوية الحقيقية للصراع مع

يهود.. فما هو بصراع قومية، ولا بصراع أرض وطين. إنه صراع عقيدة ودين..

أيها المسلمون في كل مكان: اعلموا أنكم الأمل بعد الله لمسلمي فلسطين، وأن مسلمي فلسطين قد يئسوا من غيركم كما يئس الكفار من أصحاب القبور.

أيها المسلمون: «مثل المؤمنون في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(١).

وإن الجسد الإسلامي اليوم قد أثخنته جراحات كثيرة، وتشتكي فيه أعضاء كثيرة، وإن أدناها منكم الأرض المباركة، فلسطين، قلب الإسلام والعروبة النابض، فهل تداعيتم لها بالسهر والحمى؟؟

أيها المسلمون: ﴿ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه، والله الغني وأنتم الفقراء..﴾(٢). فإياكم والشح، فإنها بئست الصفة، وبئس الموصوف، وأقبح البخل أن يبخل المرء عن نفسه، قد يبخل المرء عما سواه، ما أن يبخل عن نفسه فهذا ما لا يُرتجى

(١) رواه مسلم عن النعمان بن بشير.
(٢) سورة محمد ٣٨

خيره، ولا يُنتظر برّه، والشح قد أهلك السابقين من الأمم، فلا يهلكنكم كما أهلكهم، ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾(٣).

أيها المسلمون: إن المال الذي يجري بين أيديكم ليس بمالكم، إنما هو مال الله، قد استخلفكم فيه لينظر كيف تعملون، ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير﴾(٤) فأنفقوا منه، ولا تمسكوه،

واعلموا أن الله سيعطي

المنفقين منكم خلفا، ولن يعطي الممسكين إلا تلفا، ففي الحديث الشريف، قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفاً»(٥) فاحذروا الإمساك فإنه والله لا يحفظ أموالكم، إنه عين النفاد من حيث لا تحتسبون.. فأنفق ياعبدالله، ينفق الله عليك، ولا تخش الفقر، فإن الفقر في الإمساك..

أيها المسلمون: يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا

(٣) سورة الحشر: ٩.
(٤) سورة الحديد: ٧.
(٥) متفق عليه.

قط، وأجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، فمن كسا لله كساه الله، ومن أطعم لله أطعمه الله، ومن سقى لله سقاه الله، ومن عفا لله عفا الله عنه.

واعلموا أن «من نفَّس عن مؤمن كُربة من كُرَبِ الدنيا نفّس الله عنه كُربة من كُرَبِ يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»(٦).

فنفّسوا كربات المسلمين لينفس الله عنكم كربات يوم القيامة..

يسّروا على المسلمين المعسرين لييسّر الله عليكم في الدنيا والآخرة..

أيها المسلمون: قال أبو ذر - رضي الله عنه - انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول في ظل الكعبة «هم الأخسرون ورب الكعبة، هم الأخسرون ورب الكعبة» فقلت: ما شأني؟ أيُرى في شيء؟ فجلست إليه وهو يقول، فما استطعت أن أسكت، وتغشّاني ما شاء الله، فقلت: من هم بأبي أنت وأمي يارسول

(٦) رواه مسلم عن أبي هريرة.

الله؟ قال: «الأكثرون أموالاً، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا»[٧] وهو يقصد إلا من أنفق هذا المال في سبيل البر والخير. ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾[٨]

وإن هذا المال إن بخلت به عند نوائب المسلمين إنما هو عدو مكنته من نفسك يوشك أن يفتك بك، ويوردك المهالك، فلا تكونن من الغافلين!!.

أيها المسلمون: لا تخدعنكم لغة الأرقام والأعداد، فإن لله حسابات غير حساباتكم، فوالذي بعث رسوله بالهدى ودين الحق «ما نقص مال من صدقة»[٩].

أيها المسلمون: كان رسول الله ﷺ مع أصحابه ذات يوم فقال لهم: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ قالوا: يارسول الله: ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: فإن ماله ما قدّم ومال وارثه ما أخّر»[١٠]. صدق رسول الله، فهذا المال الذي يشقى بجمعه الناس، لا يبالي أكثرهم أجمعه من حلال أم من حرام، إنما يجمعونه للورثة من بعدهم، وغدا سيسألون عنه كله

(٧) رواه الشيخان.
(٨) الأنفال: ٢٨.
(٩) رواه أحمد في المسند.
(١٠) رواه البخاري.

وقد تركوه كله، فياعبدالله: إن مالك ما أنفقت لا ما أبقيت، فعليك بالإنفاق والبذل، واعلم أن ما عند الله باق، وأن الله سبحانه وعد الباذلين في سبيله أجرا عظيما.. فعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل بناقة مخطومة[١١] فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة»[١٢] فمن يعطيك على مالك هذا الربح العظيم.

أيها المسلمون: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾[١٣].

ياله من خطاب يذيب المسلم خجلا وحياءً من رب العالمين، إذ يستقرضه وهو الفقير المعدم الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرا، ياله من خطاب أخاذ آسر، أن يستقرض الغني الحميد عباده الفقراء المحاويج!!

أيها المسلمون: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾[١٤]

(١١) الخطام هو رسن الدابة الذي تقاد به.
(١٢) رواه مسلم.
(١٣) سورة البقرة: ٣٤٥.
(١٤) سورة آل عمران: ٩٢.

فأنفقوا مما تحبون لتنالوا البر من ربكم ورحمته الواسعة وهي خير مما تجمعون، وهذا أبو طلحة لما سمع هذه الآية الكريمة جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يارسول الله: إن الله تعالى أنزل عليك «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» وإن أحب مالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة لله تعالى أرجو برّها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يارسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ «بخ!! ذلك مال رابح، ذلك مال رابح»(١٥) وكان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة أموالاً من نخل، وكانت بيرحاء أحب أمواله إليه، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من مائها.

وأذكروا قوله تعالى: ﴿**وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدّق وأكن من الصالحين، ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون**﴾ (١٦)

والموت هو أقرب غائب، وإن الواحد منا يوشك أن تأتيه منية الموت فيتمنى لو أنه أنفق ماله كله في سبيل الله، وما استبقى منه شيئاً، وها أنت لازلت تدب على الأرض حياً مع

(١٥) متفق عليه.
(١٦) المنافقون: ١٠.

الأحياء وفي العمر بقية فابذل حتى لا تكون من النادمين ساعة الوفاة، واعلم أن التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة».

البصيرة السادسة

كيف تستقبل رمضان؟..

الحمدلله رب العالمين غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، وعد عباده الطائعين بالمغفرة والرضوان، فنعم أجرُ العاملين، والصلاة والسلام على إمام المتقين وسيد المرسلين، وقائد المجاهدين وقدوة العاملين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.. أما بعد:

فإنَّ الله تعالى يهيىء للأمة الإسلامية بين الحين والحين فترات تراجع فيها نفسها، وتصلح فيها وضعها، وتعدل فيها خطوها، حتى تستقيم على الطريق، وتستقر على المنهج، وتألف الخير وتنفر من الشر.

وقد جعل الله تبارك وتعالى هذه الأوقات مواسم خير وبركة يتجلى الله فيها على عباده بفضله ومنّه وكرمه، ويظهر فيها بنفحاته وفتوحاته. ومن هذه الأوقات: شهر رمضان الذي خصّه

الله بالفضائل والمكرمات. ورمضان على الأبواب سيحل بأربعنا بعد أيام، وسيقيم بيننا ثلاثين يوما أو تسعة وعشرين، فماذا أعددنا لاستقباله؟.

هل استشعرت - أيها الأخ الكريم - فضله وكرمه وهيأت نفسك لاستقباله؟

هل عرّفت أهلك وأولادك بخصائص هذا الشهر ومميزاته؟

هل خصّصت جزءاً من مجلسك مع أقربائك للحديث عن هذا الضيف الكريم وما يحمله من خير وبركه.

هل هيأت من يعملون معك في المدرسة والشركة والمؤسسة لاستقبال هذا الضيف العزيز على النفوس، الحبيب إلى القلوب؟

هذا الشهر يحتاج منا - نحن المسلمين - كل ترحيب وحفاوة، فطوبى لمن صام نهاره وقام ليله، وتعرض لنفحاته، وتاب وأناب، وجدد العهد مع الله..

اختص الله شهر رمضان بخصائص ومميزات لم يحظ بها شهر غيره، **ومن هذه الخصائص:**

١ ـ شهر رمضان شهر القرآن:

اختص الله تعالى هذا الشهر بنزول القرآن الكريم، فأنزله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا،

وكان ذلك ليلة القدر، ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع. قال تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾[2] فالقرآن الكريم دستور المسلمين، وحبل الله المتين، من تركه من الجبابرة قصمه الله، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هداه الله إلى صراط مستقيم.

٢ ــ رمضان فيه ليلة القدر:

اختص الله تعالى هذا الشهر بليلة القدر ﴿وما أدراك ما ليلة القدر؟ ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر﴾[3].

٣ ــ رمضان تفتح فيه أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب النيران وتقيد فيه الشياطين:

بمجرد دخول شهر رمضان تفتح أبواب الجنة على

(١) سورة البقرة: ١٨٥.
(٢) سورة القدر: ١.
(٣) سورة القدر

مصارِيعها، وينادي منادي السماء: ياباغي الخير أقبل، وتغلق أبواب النار وينادي منادي السماء: ياباغي الشر أقصر، وتحبس الشياطين وتقيد بالأغلال والسلاسل.

أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين» وفي رواية: «وصفدت الشياطين»(٤).

٤ ــ رمضان شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار:

فقد ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ رمضان أوله رحمة، وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار».

٥ ــ رمضان تضاعف فيه الحسنات وتنمو فيه الأجور:

فأجر الصيام ليس له نظير في الأعمال والعبادات، حتى قال الرسول ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجلي»(٥) رواه

(٤) جامع الأصول: ٢٥٨/٩.
(٥) جامع الأصول: ٢٥٨/٩.

البخاري ومسلم.

والعمرة في رمضان تعدل حجة، كما قال النبي ﷺ لامرأة من الأنصار: «إذا كان رمضان فاعتمري، فإنَّ عمرة فيه تعدل حجة» وفي رواية: «فعمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي» رواه البخاري ومسلم(٦).

بعد أن عرفت ـ أيها المسلم ـ خصائص هذا الشهر الكريم، فلابد من الاستعداد له والتأهب لمقدمه، والاحتفاء بحلوله، واستنفار العامة والخاصة لاستقباله وأداء حقوقه التي يستحقها، ومن هذه الحقوق:

١ ـ الفرح والابتهاج بمقدمه:

اعتاد المسلمون منذ القدم على تزيين المدن وتجديد أثاث المساجد وإضاءة بيوت الله عند قدوم شهر رمضان، وذلك للتعبير عن الانشراح والبهجة بمقدم رمضان.

ذكر الرحالة ابن جبير في رحلته عام (٥٧٩هـ): «حينما استهل شهر رمضان وقع الاحتفال في المسجد الحرام بهذا الشهر المبارك، وقد جُدِّدَت الحصر، وكثر الشمع والمشاعيل، وغير ذلك من آلات الإضاءة، حتى تلألأ الحرم نوراً وسطع ضياء».

(٦) جامع الأصول: ٩/٢٦٣.

فينبغي للمسلم أن يشعر بالفرحة التي تملأ قلبه وجوانحه بقدوم هذا الشهر المبارك الذي يحمل فضل الله ورحمته. قال تعالى: **﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾**(٧)

٢ ــ العزم على صيام نهاره وقيام ليله والتعرض لنفحاته بالنوافل والطاعات:

شهر رمضان شهر العبادة ينبغي للمسلم ألا يقتصر فيه على الصيام وصلاة التراويح، وإنما ينبغي للمسلم أن يحرص على التعرض لنفحات الله وهو في حالة من التقرب إلى الله عن طريق قراءة القرآن، والمناجاة في الليل والناس نيام والاستغفار والتوبة والإنابة والتوكل والخوف والرجاء والتصديق والإخلاص.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

٣ ــ الاكثار من الصوم في شهر شعبان:

كان النبي ﷺ يستقبل رمضان بالإكثار من الصيام في شهر

(٧) سورة يونس: ٥٨.

شعبان، يصومه كله تارة، ويصوم أكثره تارة أخرى لئلا يُتوهم أنه واجب كله كرمضان.

وقد سئل ﷺ عن سبب إكثاره من الصيام في هذا الشهر فقال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه، بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم». رواه أبو داود وابن خزيمة وصححه.

٤ ـ الجود والكرم وكثرة الصدقات:

إنَّ كرم رمضان لا يقابل إلا بالكرم والجود وكثرة الصدقات والهبات، ونصب الموائد والولائم، ومد يد العون إلى كل محتاج، فقد كان النبي ﷺ أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة فيدارسه القرآن، فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة.

والجود المحمود ما كان عن موجود بلا تكلف ولا إمساك، وما كان في حدود التوازن بلا إسراف ولا تقتير. وإياك والإسراف في الطعام والشراب في هذا الشهر الكريم، فإنه شهر عبادة واجتهاد في التقرب إلى الله والتعرض لنفحاته، لا شهر إكثار من الطعام والشراب.

٥ ـ التوبة النصوح:

رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما، فينبغي تقديم التوبة الصادقة لله تعالى عما سلف من الذنوب والمعاصي والعزم على عدم العودة إليها. وبذلك يكون رمضان مدرسة تربوية لتخليص النفوس من أوزارها وآثامها.

٦ ـ سلامة الصدر وطهارة القلب:

فالمسلم الذي يرجو رحمة الله ويخاف عذابه، ويتعرض لنفحات الله في هذا الشهر، ينبغي عليه أن ينزع من صدره العداوة والبغضاء ويطهر قلبه من الضغائن والأحقاد والظنون السيئة وقول الزور. قال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» رواه الجماعة إلا مسلماً(٨).

٧ ـ الاجتهاد في تحري ليلة القدر في العشر الأواخر:

ينبغي للمسلم أن يهيىء نفسه للاجتهاد في تحري ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان كما أمر رسول الله ﷺ طلباً

(٨) نيل الأوطار: ٢٣٣/٤.

للأجر والثواب، ويكون ذلك بالاعتكاف والصلاة والدعاء وقراءة القرآن وغير ذلك من وجوه الخير، فمن قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن أدركها فقد فاز بالخير.

٨ ــ العمل على استثمار هذا الشهر في الدعوة والتبليغ:

يعتبر شهر رمضان من أفضل الأوقات للدعوة إلى الله تعالى، فلا تدع هذه الفرصة تفوتك، ففي هذا الشهر يقبل الناس على الله تعالى، وتمتلىء المساجد بهم، وتظهر في ميدان الدعوة وجوه جديدة وخامات طيبة، فهل فكرت في تعليمهم وتفقيههم؟.

هل فكرت في كيفية ربطهم بالله تعالى ربطا دائماً لا ينقطع بمجرد انتهاء شهر رمضان؟ هل فكرت في التعرف على بعضهم وبناء علاقة أخوة دائمة بينك وبينهم؟

بعد هذه التساؤلات ينبغي عليك أن تجلس مع نفسك جلسة محاسبة لتراجع ما قمت به في الماضي في مجال الدعوة إلى الله فتستدرك في رمضان المقبل ما فاتك فإنك لا تدري هل تعود هذه الفرصة عليك مرة أخرى أم لا؟.

٩ ــ الانتفاع بمجالس العلم:

إن لشهر رمضان المبارك مذاقاً خاصاً وطعم مميز، يدركه

من يتنقل في البلاد ويطوف فيها، فيتميز هذا الشهر بكثرة مجالس العلم والمواعظ والنصائح التربوية، كما يتميز بتنوع المحاضرين والوعاظ الذين يأتون من كل فج عميق، فاحرص على الانتفاع بتلك الدروس المفيدة، والمواعظ الحية التي تخرج من القلب، والنصائح التربوية التي تعتبر محصلة لتجارب عديدة في مجال العمل والدعوة، ولا تقتصر في حضور هذه المجالس على نفسك، بل ادعو غيرك ممن تتوسم فيه الخير، وترجو منه الصلاح. واعلم أن طريق العلم طريق عظيم يوصل إلى الجنة، كما قال النبي ﷺ: «ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة» رواه مسلم.

وأخيرا.. وليس آخرا ينبغي على المسلم وهو يناجي ربه في جوف الليل ألا ينسى إخوانه من الدعاء، وأن يدعو للأمة الإسلامية بالتمكين في الأرض، وللمجاهدين في كل مكان بالنصر والتأييد والتثبيت.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك..

البصيرة السابعة

رمضان شهر البركات والانتصارات العظيمة

قال تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾[1]

لقد أظلنا شهر عظيم مبارك، شهر أنزل الله فيه القرآن الكريم، هبة السماء للأرض، وهد ية الحق إلى الخلق، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هداه الله إلى صراط مستقيم قال تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾[2] أنزله الله تعالى في ليلة عظيمة من ليالي هذا الشهر المبارك، وهي ليلة القدر التي قال الله فيها: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى

(١) سورة محمد: ٧ ـ ٩.

(٢) سورة البقرة: ١٨٥ .

مطلع الفجر﴾[٣].

وقال ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»..

وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، تفتح فيه أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب النيران، وتقيد فيه الشياطين بالسلاسل والأغلال، وتُضاعف فيه الحسنات وتنمو فيه الأجور، من أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، ومن تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه. قال رسول الله ﷺ: لامرأة من الأنصار: «إذا كان رمضان فاعتمري، فإن عمرة فيه تعدل حِجة» ومن فطّر فيه صائما كان له مثل أجر الصائم من غير أن ينقص من أجره شيء، يعطي الله تعالى هذا الأجر لكل من فطّرَ صائما ولو على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن.

وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، يصبر الصائم على الجوع والعطش والحرمان من اللذة، كما يصبر على ارتكاب الحرام فيبتعد عن الغيبة والنميمة والكذب وقول الزور، وهو بذلك يتعود على مغالبة شهواته ونزواته، كما يتعود على مقاومة النفس الأمارة بالسوء، فتزكو روحه، ويتطهر قلبه، وتتقوى

(٣) سورة القدر.

إرادته، وتصدق عزيمته، ويزداد إيمانه، ويقوى يقينه.

من هنا نستطيع أن نقول: إنَّ شهر رمضان ـ بما فيه من خصائص ومزايا ـ يعتبر محطة ذات ضغط عال لتعبئة القوى النفسية والروحية والخلقية التي تحتاج إليها كل أمة، ويحتاج إليها كل فرد، إنه يشحن الصائم ـ عن طواعيه واختيار ـ بالإقبال على الطاعات والإكثار من الخيرات والثبات على الحق في البأساء والضراء وحين البأس، ومقاومة الشر، وإزالة الظلم، ومواجهة الموت بجأش رابط وقلب ثابت، ونشر النور والعدل والسلام.

هذا هو سر الانتصارات الكثيرة التي حدثت في هذا الشهر المبارك، فقد استطاع المسلمون أن يحققوا فيه أعظم الانتصارات على الأعداء الذين يفوقونهم في العَدد والعُدد.

ففي السابع عشر من هذا الشهر من السنة الثانية للهجرة وقعت غزوة بدر العظمى، وهي أول لقاء مسلح بين أهل الحق والباطل، وهي يوم الفرقان، لأن الله تعالى فرق بها بين الحق والباطل، فأظهر الحق وأهله على الباطل وحزبه.

وفي الحادي والعشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة كان فتح مكة، حيث استسلم أهلها للمسلمين دون قيد أو شرط. وبذلك استطاع المسلمون أن يحطموا ما في نفوس

المشركين من عنجهية وصلف وغرور وكبرياء، وأن يقيموا صرح السلام على أساس من القوة والعدل والخير والرحمة، فقد وقف الرسول ﷺ ـ بعد الفتح ـ يخاطب قريشاً: «ما تظنون أني فاعل بكم؟؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، فإن تعف فذاك الظن بك، وان تنتقم فقد أسأنا. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، لا أقول لكم إلا كما قال أخي يوسف من قبل: ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾[٤]».

وفي رمضان من العام الرابع عشر من الهجرة وقعت معركة القادسية وانهزمت فيها جيوش الفرس الجرارة وارتفعت بعدها رايات الإسلام عالية خفاقة على الأرض التي كانت تخضع لأعظم دولة في العالم وهي: دولة الفرس.

وفي رمضان من العام الثالث والخمسين من الهجرة فتح المسلمون جزيرة «رودس» على يد القائد المسلم (جنادة بن أمية الأزدي). وقد شهدت تلك الجزيرة قوة المسلمين وعزتهم وسيادتهم على البر والبحر، فقد كان المسلمون يمنعون سفن الروم من المرور بالمياه الإسلامية، وإذا مرت بها أخذوها وصادروها، كما اتخذوا تلك الجزيرة فيما بعد منطلقا للجيوش

(٤) سورة يوسف: ٩٢.

الإسلامية الفاتحة لبلاد أسبانيا وجنوب ايطاليا وفرنسا والقسطنطينية.

وفي رمضان سنة إحدى وتسعين من الهجرة فتح المسلمون الأندلس بقيادة القائد المسلم (طارق بن زياد)، وتم النصر على مائتي ألف قوطي كان قد عبأهم طاغية الأندلس.

وفي الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ستمائة وثمان وخمسين من الهجرة وقعت معركة عين جالوت بقيادة المظفر قطز بن عبدالله لتسجل نصرا للمسلمين على قطعان التتار الذين اجتاحوا بلاد المسلمين بوحشية لم يعرفها التاريخ.

وفي رمضان سنة ستمائة وست وستين للهجرة استولى الملك الظاهر بيبرس على إنطاكية وأخرج منها التتار وأسر منهم عشرة آلاف مقاتل.

وفي هذا العام يجيء رمضان المبارك والشعب الفلسطيني المسلم المرابط في أرض الإسراء والمعراج يفجر براكين غضبه، ويقذف بحممها على جنود الاحتلال اليهودي المتغطرس مستخدما في ذلك حجارة الأرض المباركة وما يصنعه من أسلحة يدوية: كالمقلاع والزجاجات الحارقة.

وعلى الرغم من كل الاجراءات القمعية والوسائل الوحشية

التي تمارسها القطعان اليهودية الحاقدة ضد أهلنا في الأرض المحتلة، فإن الانتفاضة مستمرة ولايزال أوارها مشتعلا ورقعتها تتسع يوما بعد يوم.

وإذا كان يوم الجمعة ـ بما فيه من خطب مسجدية ـ يعطي المجاهدين دفعة قوية ونفسا طويلا، فإن شهر رمضان ـ بما فيه من ذكريات عظيمة وبطولات فذة وتضحيات نادرة ـ يعطي الانتفاضة المباركة في الأرض المقدسة دفعة أقوى ونفساً أطول. فقد قرر الشعب المسلم في فلسطين تصعيد الانتفاضة في شهر رمضان المبارك.

ورغم التعتيم الإعلامي على الانتفاضة هذه الأيام، فان جهاد الشعب الفلسطيني المسلم يتصاعد يوما بعد يوم، فقد شهدت أيام رمضان الأولى مواجهات عديدة وإضرابات شاملة ومظاهرات عارمة سقط على إثرها العديد من الشهداء، وأبعد عن أرض الإسراء والمعراج ستة عشر مناضلا منهم ثلاثة من أئمة المساجد ومحركي الانتفاضة، وحوصرت القرى والمخيمات الفلسطينية.

إنَّ دم الشهداء لن يذهب هدراً، وإن الإبعاد لم يخمد نار الانتفاضة، ولن يثني الجماهير الصائمة في هذا الشهر المبارك عن مطالبها، فقد قطعت شوطاً في طريق تحرير كامل فلسطين بما

فيها يافا وحيفا وغزة والقدس، ولا مجال للتراجع أو التوقف.

يجيء شهر رمضان المبارك ليزيد تلك الأمة المؤمنة تمسكا بالحق وثباتاً عليه، كما يزيدها تصميماً على ما عزمت عليه.

أسأل الله تعالى أن يثبت أقدامهم وينصرهم على القوم الكافرين.. إنه نعم المولى ونعم النصير.

البصيرة الثامنة

ونبلوكم بالشر والخير فتنة

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فاعلم يامن حملت هذه الدعوة راضياً مختاراً مجاهداً في سبيل الله، داعياً إلى الحق الذي جاء به المصطفى المختار أنَّ سنة الله في حملة دعوته أن يبتليهم ويمتحنهم، يبتليهم مرة بصنوف الأذى وألوان العذاب من الأقارب والأباعد، ويبتليهم أخرى بإقبال الدنيا عليهم، فتتزين لهم ويصبحون قادرين على حيازة الأموال، وتسنّم المناصب، واقتناء البيوت الفاخرة واعتلاء المراكب الثمينة.

وهذه سنة الله في حملة الدعوات من الرسل والأنبياء وأتباع الرسل والأنبياء عبر التاريخ، وإذا نظرت في سيرة الرسل والأنبياء وأتباعهم من خلال القرآن تبين لك صدق هذا القول، فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم

وهم أولو العزم من الرسل عانوا عناء عظيماً وهم يواجهون أقوامهم ويبلغون الحق.. نوح مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى الله ليلا ونهاراً، فلم يزدهم دعاؤه إياهم إلا فراراً، وكلما دعاهم إلى الله ليغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرّوا واستكبروا استكباراً، دعاهم في السرِّ والعلانية، دعاهم إلى التوجه إلى الله وطلب المغفرة منه، وبعدالجهد الطويل لم يجد إلّا العصيان، واتِّباع من لم يزده ماله وولده إلا خساراً، والإصرار على عبادة الأصنام والأوثان.

وإبراهيم يبلغ الأذى به من قومه إلى أن يُلْقى في النار، فينجيه الله من النار، فيترك أهله ودياره وقومه ويهاجر إلى الأرض المقدسة ناشرا عقيدة التوحيد.

ولا يخفى عليك ما جرى بين موسى وفرعون، وكيف أراد بنو إسرائيل قتل عيسى..

أما العناء الذي لاقاه الرسول ﷺ من قومه قريش ومن العرب في الطائف وغيرها فأشهر من أن يذكر.

وقد أخبرنا المصطفى ﷺ أن الداعية إلى الحق كان يؤتى به فيمشط ما دون عظمه بأمشاط من الحديد، ويوضع المنشار على مفرق رأسه ويقال له: ارجع عن دينك، فيأبى ويستمسك بهذا الدين.

ولا أظن أنه قد غاب عنك ألوان الأذى الذي أصاب أصحاب رسول الله ﷺ على أيدي طغاة قريش.

وفي العصر الحديث أقام الطغاة لحملة هذه الدعوة المباركة أعراساً حمرا أذاقوهم فيها من صنوف العذاب ما يشيب له الولدان. وتلك سنة الله ﴿ألم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[1].

إنها سنة الله تصهر أصحاب الدعوات، فيحتار الله منهم شهداء، ويبقى فريق خلصت نفوسهم لله ربِّهم، أمناء على هذه الدعوة، لا يساومون فيها، ولا يبيعونها بعرض من الدنيا، وسنة الله أن يُمَكِّنَ لمن اختارهم وابتلاهم ـ فثتبوا وصدقوا ـ في الأرض ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنَّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾[2].

ياحملة رسالة الإسلام في هذا القرن الذي تداعت فيه

(١) سورة العنكبوت: ١ ـ ٣.
(٢) سورة النور: ٥٥.

الأمم على أمتكم ودعوتكم تداعي الأكلة إلى قصعتها، اعلموا أن الله يريد أن يختبر إيمانكم ويقينكم، لقد خلقكم ربكم لعبادته وطاعته، واختبركم بما زيّنه من الشهوات وأعراض الدنيا، لقد اختبر أباكم إبراهيم فأمره أن يذبح ابنه ليرى أَحُبُّه لربه أعظم أم حبه لابنه؟؟ فنجح في الامتحان وكان الابتلاء العظيم.

ياحملة الإسلام، أترى حبكم لدعوتكم أعظم، أم حبكم لأموالكم وأولادكم ووظائفكم ودياركم؟ أتراكم تحرصون على عرض أخبركم ربكم أنه زائل، ودنيا أعلمكم رسولكم أنّها زائلة أم تقبلون على الله وتطلبون رضوانه وجنته **﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب. قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد. الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار﴾**[٣].

ياحملة دعوة الإسلام: أنتم ملح العالم وأطباء البشر، فكيف يصلح الطعام إذا فسد ملحه، وكيف نداوي أدواء البشر

(٣) سورة آل عمران: ١٤ ـ ١٦.

ونحن مرضى؟؟

أرضيتم ياأخوة الإسلام بدنيا أصبتموها، وأموال حزتموها، وخلفتم دعوتكم وراءكم ظهريا ﴿قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾(٤)

وإذا أنتم رضيتم بالدنيا، وشغلتكم أموالكم وأهلوكم أتكونون قد نجحتم في الاختبار والابتلاء؟؟ لا يغرنكم ياحملة الإسلام أن الدنيا فتحت على أقوام كفرة فسقة، فالله يعطي الدنيا من أحب ومن لا يحب، ولكنه لا يعطي الدين إلّا من أحب.

ولا تنظروا إلى من فتحت عليه الدنيا ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾(٥).

ولا تظنوا أن من فتحت عليه الدنيا يعيش في نعيم ﴿فلا

(٤) سورة التوبة: ٢٤
(٥) سورة طه: ١٣١.

تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنّما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾[6].

أخي المسلم: إنَّك إن ظننت أن أحداً أعطاه الله أفضل مما أعطاك فقد ازدريت نعمة الله عليك. لقد أعطاك دينه، وجعلك من اتباع نبيه محمد ﷺ، واصطفاك لحمل هذا الدين وتبليغه للعالمين، فأنت خيرالناس بهذا الدين.

إن هذه البصيرة تدعوك إلى الثبات على منهج سواء في العسر واليسر، في الشدَّة والرخاء، وأن تجعل الحق لك رائداً، وأن تجاهد في سبيل الله، وتدعو إليه، لا يثنيك عن مهمتك وعيد الظلمة، ولا بريق الأموال، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

(6) سورة التوبة: ٥٥.

البصيرة التاسعة

صلة الأرحام

الحمد لله الذي ألف بين قلوب المؤمنين فأصبحوا بنعمته إخوانا، وبارك هذه الأخوة فتواصلوا وتحابوا دون ما أرحام بينهم غير رحم الدين، أو نسب يربطهم غير نسب العقيدة، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين، فكان خير من دعا إلى صراطه المستقيم، وعلى آله وصحابته الغر الميامين، ومن سار على نهجهم وسلك طريقهم إلى يوم الدين.. وبعد:

فقد كان الدافع إلى اختيارنا موضوع هذه البصيرة إحساسنا بتقصير بعض المسلمين في الوفاء بمتطلبات التواصل الواجب عليهم، وفي أداء حقوق الأرحام، سيما وأننا مقبلون على مناسبة عظيمة ألا وهي عيد المسلمين الأكبر (عيد الأضحى) المبارك، والذي يمكن أن يغتنمه المسلم لصلة أرحامه وبرهم بكل وسيلة.

والرحم في اللغة تعني أسباب القرابة وجمعها (أرحام)

وذوو الرحم هم الأقارب، ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب.

وصلة الأرحام تعني الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار، والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم، وإن تَعَدُّوا وأساءوا، وضد ذلك قطيعة الرحم.

وقد قسَّم القرطبي ـ رحمة الله تعالى ـ الرحم إلى عامة وخاصة. فالعامة رحم الدين، وتجب صلتها بالتوادد والتناصح والعدل والإنصاف، والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة.

وأما الرحم الخاصة فهي رحم القرابة والنسب والمصاهرة. وهذه توصل بالنفقة على القريب وَتَفَقُّدِ حاله والتغافل عن زلته.

وقد دعا الإسلام إلى صلة الأرحام وحث على برِّهم والإحسان إليهم واعتبر ذلك من صفات المؤمنين الصادقين. قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿**والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب**﴾[1].

كما أخبر الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم أن صلة الأرحام سبب من أسباب زيادة الرزق والعمر

(١) سورة الرعد: ٢١.

معا. فقد روى الشيخان عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سرّه أن يُبسط عليه رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه» والزيادة في العمر المشار إليها في الحديث الشريف كناية عن البركة فيه بسبب التوفيق إلى الطاعة، وقضاء وقته فيما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضييعه في غير ذلك، فيبقى بعده الذكر الجميل، فكأنه لم يمت، وكذلك التوفيق إلى العلم الذي ينتفع به من بعده، بتأليف ونحوه، والصدقة الجارية عليه والذرية الصالحة التي لا ينقطع عمله بسببها بعد موته.

وصلة الرحم درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة، وصلتها بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة.

وكما حث الإسلام على صلة الأرحام حذر من قطعها. فقد قرن الله تعالى قطع الأرحام بالإفساد في الأرض وسفك الدماء واعتبر كلا الأمرين من نتائج الإعراض عن الإسلام وترك الجهاد والنكول عنه، فقال تعالى: **﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتُقطِّعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾**(٢) وفي هذا نهي عن الإفساد في

(٢) سورة محمد: ٢٢.

الأرض عموما وعن قطع الأرحام خصوصا. تهديد ووعيد بالطرد من رحمة الله لأولئك الذين لم ينتفعوا بما وهبهم الله تعالى من حواس ولم يسخروها في رؤية الحق وسماع المواعظ والاعتبار بها.

فمن قطع أقاربه الضعفاء وهجرهم وتكبر عليهم ولم يصلهم ببره وإحسانه، وكان غنيا وهم فقراء فهو داخل في هذا الوعيد محروم من دخول الجنة، إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليهم، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة. قال: أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذلك لك. ثم قال رسول الله ﷺ: اقرءوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾[٣] وفي صحيح مسلم كذلك عن جبير بن مطعم عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع» أي قاطع رحم. وإذا كان مبدأ المعاملة بالمثل حقا مشروعا في كثير من الأمور كالتكبر على المتكبر والعقوبة بالمثل فان هذا المبدأ لا ينطبق على الأرحام، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي

(٣) سورة محمد: ٢٢.

هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رجلا قال: يارسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عليهم ويجهلون عليّ. فقال: لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهم الملّ، ولايزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك».

وقد عُرف أن مِسْطَحَ بن أُثاثه كان ممن خاضوا في تهمة الإفك، وهو قريب أبي بكر رضي الله عنه، ومن فقراء المهاجرين، وكان أبو بكر ينفق عليه، فآلى على نفسه لا ينفع مِسطَحا بنافعة أبدا فنزل قوله تعالى: **﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكينَ والمهاجرين في سبيل الله، وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾**(٤) نزلت هذه الآية لتُذكِّر أبا بكر وتذكر المؤمنين بأنهم يخطئون ثم يحبون من الله أن يغفر لهم، فليأخذوا أنفسهم بهذا الذي يحبونه ولا يحلفوا أن يمنعوا البر عن مستحقيه إن كانوا قد أخطأوا وأساؤوا. وما يكاد أبو بكر يسمع دعوة ربه إلى العفو حتى ترتفع نفسه على الآلام ويلبي داعي الله في طمأنينة وصدق ويقول: بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لي. ويعيد إلى مِسطح النفقة التي كان ينفق عليه، ويحلف ألّا ينزعها منه أبدا.

ومن أسباب القرابة التي لا تقوم على النسب ولا المصاهر

(٤) سورة النور: ٢٢.

أخوة الإسلام، وقد أكّد الإسلام على توثيق هذه الرابطة والاعتزاز بها والقيام بحقوقها. قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض..﴾[٥] وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة..﴾[٦] وهذه الأخوة هي الأخوة العامة ولها حقوقها التي لا يتسع المجال هنا لتفصيلها.

وهناك أخوة خاصة تكون لمن تعاهدوا على عمل يحبه الله ويرضاه في الدعوة والجهاد، وهذه الأخوة تساعد على تمتين أواصر الأخوة العامة وبقدر ما يتعمق الإخاء الخاص ويتحقق بقدر ما يستشعر الإنسان نعمة الانخراط في صف العاملين بالإسلام؛ كما أنه بقدر ما تتسع دائرة هذا الإخاء وتتوثق عراه يكون النهوض بالإسلام وتحقيق أهدافه، وأخطر ما يخشى على أهل هذه الأخوة أن تصبح العلاقة بينهم علاقة رسمية باردة جافة كتلك التي يتعامل بها عامة الناس.

ومن خصائص الأخوة وسماتها المميزة الألفة والتوافق والتحاب، قال تعالى مظهراً منته على الخلق بنعمة الألفة: ﴿لو انفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألف

(٥) سورة التوبة: ٧١.

(٦) سورة الحجرات: ١٠.

بينهم﴾[٧] وقال تعالى: ﴿فأصبحتم بنعمته إخوانا..﴾[٨] أي بالألفة. وقد أخرج ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال: صحيح الإسناد، قال ﷺ: «ما تحاب اثنان في الله إلا كان أحبهما إليه إشدهما حبا لصاحبه» وقد أخرج مسلم عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن رجلا زار أخاً له في الله، فأرصد الله له ملكا فقال: أين تريد؟ قال: أريد أن أزور أخي فلانا. فقال: لحاجة عنده؟ قال: لا. قال؛ لقرابة بينك وبينه؟ قال: لا. قال: فبنعمة له عندك؟ قال: لا. قال: فيم؟ قال: أحبه في الله. قال: فإن الله أرسلني إليك يخبرك بأنه يحبك لحبك إياه، وقد أوجب لك الجنة».

واعلم أخي المسلم أن عقد الأخوة رابطة بين أصحابها توجب حقوقا يجب الوفاء بها ومن هذه الحقوق: أن تؤثره على نفسك في الخير، وتقدم حاجته على حاجتك، ولهذا كان الإنفاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء فقال علي ـ رضي الله عنه ـ: لعشرون درهما أعطيها لأخي في الله أحب إليّ من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين. وقال أيضاً: لأن أصنع صاعا من طعام وأجمع عليه إخواني في الله أحب إليّ من أن

(٧) سورة الأنفال: ٦٣

(٨) سورة آل عمران: ١٠٣.

أعتق رقبة.

كما أن من حقوق الأخ على أخيه قضاء حاجاته وتقديمها على حاجاته الخاصة. فقد قال عطاء: تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم، أو مشاغيل فأعينوهم أو كانوا نسوا فذكروهم.

ومن كمال الإيمان أن يحب الأخ لأخيه ما يحب لنفسه، فقد قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

جعلنا الله وإياكم هداة مهتدين، وأنار بصائرنا بنور الإيمان، وبارك لنا في إخوة الإسلام، وسدد خطانا على طريق الحق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

البصيرة العاشرة

إنها معركة الكرامة

الحمد لله رب العالمين ناصر المجاهدين وقاصم الجبارين، والصلاة والسلام على إمام المتقين وسيد المرسلين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين أما بعد:

فإنَّ المعركة الدائرة اليوم بين الشعب الفلسطيني المسلم المرابط في أرض الإسراء والمعراج وجنود الاحتلال اليهودي ليست معركة طائفية بين طائفتين تتنازعان على السلطة في تلك الأرض، ليست معركة على ثارات قبلية أو عنصرية قديمة، كما أنها ليست مجرد معركة على أرض مسلوبة وثروات منهوبة وحريات مصادرة وحقوق مغتصبة ، إنها أكبر من ذلك وأعظم شأناً. . إنها معركة بين الحق والباطل، بين أهل القرآن العظيم وأهل التلمود السقيم، وهي معركة بين الأمة الإسلامية وقوى الكفر المتمثلة في الصهيونية العالمية والصليبية الحاقدة

والشيوعية الملحدة، وهي معركة الوجود والمصير يترتب عليها عز المسلمين أو ذلتهم، كما يترتب عليها قمع الكفر وإذلاله أو بقائه مستعليا مستكبرا متطاولا، ويترتب عليها تخليص العالم من أوكار الفساد، أو تثبيته وزيادته وتفشيه، ويترتب عليها الفتح العظيم للإسلام، ونشر النور وتبديد الظلم الذي يخيّم على الإنسانية نتيجة الحضارة المادية التي تسيطر على جميع المجالات الفكرية والعلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويترتب عليها انتشار روح الجهاد والاستشهاد في الأمة، وانزواء ظاهرة النفاق والعمالة والموالاة للكافرين المتفشية في مختلف طبقات الأمة، ويترتب عليها رد الحقوق المغتصبة إلى أصحابها الشرعيين.

إنها معركة في سبيل الله تعالى ورفع راية لا إله إلا الله، وإقامة دين الله بما فيه من تكامل وشمول في واقع الناس أجمعين. يعتبر المجاهد فيها في عبادة دائمة كالصائم الذاكر القائم والقانت بآيات الله تعالى، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم وغيره: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى وهي معركة تعتبر فيها غدوة المجاهد وروحته وذهابه وإيابه خير من نعيم الدنيا وما فيها، كما قال رسول الله ﷺ في الحديث

الصحيح الذي رواه الإمام مسلم: «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها» وهي معركة يوجب الله فيها لمن يقاتل في سبيل الله الجنة، ويحرم على من اغبرّت قدماه فيها النار، قال ﷺ: «من قاتل في سبيل الله من رجل فواق ناقته وجبت له الجنة» أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي وقال: حسن صحيح.

وقال ﷺ: «من اغبرّت قدماه في سبيل الله حرمهما الله عز وجل على النار» رواه البخاري.

وهي معركة يعتبر المقيم في أرضها ـ إذا كان محتسبا وناوياً للجهاد في سبيل الله ـ مرابطاً في سبيل الله، وقد أعد الله تعالى للمرابط في سبيله الثواب العظيم، فقال ﷺ: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان» رواه البخاري وزاد ابن ماجه «وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع».

وهي معركة لا يصاب المجاهد فيها بوصب أو نصب أو حزن أو جرح أو رصاصة إلا كفّر الله بها خطاياه وعوضه عن ذلك بالجنة، وبعثه يوم القيامة بأجمل هيئة وأطيب رائحة، فالجريح يبعث يوم القيامة وجرحه ينزف: اللون لون الدم والريح ريح المسك، كما قال ﷺ: «لا يكلم أحد في سبيل الله،

والله أعلم من يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب، اللون لون الدم والريح ريح المسك» أخرجه البخاري ومسلم بنحوه، وروى الترمذي وغيره بسند صحيح عن معاذ بن جبل أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من جُرح جرحا في سبيل الله، أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت، لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك، ومن خرج عليه خُراج في سبيل الله فإن عليه طابع الشهداء».

وهي معركة لا يعتقل فيها أحد من المجاهدين ولا يبعد عن وطنه إلا انقلب أشد مما كان عليه قبل ذلك: فيزداد حماسة وحبا في الجهاد والاستشهاد ومعرفة لحقيقة المعركة الدائرة بين المسلمين واليهود، ويزداد نقمة على أعداء الله. قال تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾[1].

لقد نقل لنا القادمون من فلسطين المحتلة أن السجون اليهودية أصبحت مدارس للدعوة والجهاد في سبيل الله، يربى فيها الفرد على التمسك بدينه وهذا هو الطريق الوحيد لحل القضية الفلسطينية، فلا سبيل لطرد المحتل لبلاد المسلمين إلا بالجهاد في سبيل الله والعودة إلى دين الله، واتخاذه منهاجاً شاملاً

(١) سورة الأنفال: ٣٠.

للحياة.

وهي معركة يحب الله فيها التضحية وإراقة الدم في سبيله كما قال الرسول ﷺ: «ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين، قطرة من دموع في خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله، وأما الأثران، فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله». رواه الترمذي وقال حسن غريب.

وهي معركة لا يموت فيها أحد من المجاهدين في سبيل الله ﷺ إلا كتبه الله في سجل الشهداء الخالدين الذين يستحقون الكرامات العظيمة في الدنيا والآخرة، وهي كرامات تجعل الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة كما قال ﷺ في الحديث الذي رواه الشيخان: «ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع وله ما على الأرض من شيء، إلا الشهيد فانه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا عشر مرات لما يرى من الكرامة».

والشهيد لا يشعر بألم القتل أو الطعن إلا كما يشعر أحدكم بألم القرصة يقرصها، قال ﷺ: «الشهيد لا يجد من القتل إلا كما يجد أحدكم القرصة يقرصها» رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه. وقال الترمذي حديث حسن غريب صحيح.

والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة كيف شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل. عن مسروق قال: سألنا عبدالله يعني ابن مسعود عن هذه الآية: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ قال: أما إنا فقد سألنا عن ذلك فقال: يعني النبي ﷺ: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم إطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا» رواه مسلم.

ومن الكرامات التي يراها الشهداء في الآخرة وتحصل لهم بمجرد استشهادهم: يغفر للشهيد ما عليه من خطايا وحقوق إلا الدَّيْن، ويرى مقعده من الجنة وما أعد الله له من الثواب والكرامة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر يوم القيامة، ويتوج بتاج الوقار: الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزّوج باثنين وسبعين زوجة من الحور العين العفيفات الطاهرات، ويشفّع في سبعين من أقاربه.

عن المقداد بن معد يكرب ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «للشهيد عند الله ستة: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار: الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها». وفي رواية لأحمد: «ويزوج بإثنين وسبعين زوجة من حور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه» رواه الترمذي وقال: حديث غريب صحيح.

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله إن قتلت في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر كفّر الله خطاياي؟ قال رسول الله ﷺ: «إن قتلتَ في سبيل الله صابراً محتسبا مقبلا غير مدبر كفّر الله خطاياك إلا الدين. كذا قال جبريل» أخرجه مسلم. وله عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين».

هذا هو قَدَرُ الشعب المسلم المرابط في أرض الأقصى.

نسأل الله تعالى لهم التثبيت والنصر، كما نسأله تعالى أن يرزقنا الشهادة في سبيله إنه نعم المولى ونعم المصير.

البصيرة الحادية عشرة

يوم عبد من عبيد الله

الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن العبد المسلم نموذج مكرور للإنسان الصالح على اختلاف الأزمنة والأمكنة، وهذه البصيرة تحكي صورة يوم من أيام أحد عباد الله في أرض الله.

مضى الثلث الأول من الليل، وقام عبدالله فتوضأ، وصلى ركعتين ثم ذهب إلى فراشه ليناه، فوضع جنبه الأيمن على الفراش وهو يتمتم ويدعو: «باسمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفعه. لك اسلمت نفسي، فإن أمسكتها فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين. اللهم إني أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، لا منجا ولا ملجأ منك إلا إليك، رهبة ورغبة إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت»، ثم يقرأ آية الكرسي وسورة الكافرون ثم

الإخلاص، والفلق، والناس. ثم يروح في نومه مطمئن القلب هادىء النفس.

وتمضي ساعات قليلة فيدق جرس المنبه، فيتململ عبدالله في فراشه، تململ السليم على صوت لا يميزه أهو في حلم أم في يقظة ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً، ومما رزقناهم ينفقون﴾(١) ﴿قم الليل إلا قليلا، نصفه أو انقص منه قليلا﴾(٢). ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك، عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾(٣).

فيهب من فراشه قائلا: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»، «سبحان الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» فتنفك عنه عقدة عقدها الشيطان، ثم يقوم فيتوضأ، فتنحل عقدة أخرى، ثم يقوم فيصلي ما شاء الله أن يصلي، فما أحلى الصلاة في جوف الليل والناس نيام.

ها هو المؤذن ينادي لصلاة الفجر، ويخرج عبدالله بهذة الأذكار «بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا

(١) سورة السجدة: ١٦ .
(٢) سورة المزمل: ٢ ـ ٤.
(٣) سورة الإسراء: ٧٩.

بالله». «اللهم إني أسألك خير المخرج وخير المولج». «باسم الله خرجنا وباسم الله ولجنا». «أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله، لا شريك له وإليه النشور». «أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما، وما كان من المشركين». «اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لاشريك لك، فلك الحمد ولك الشكر».

ويأتي عبدالله المسجد فيدخله برجله اليمنى «بسم الله، اللهم صلِّ على محمد، اللهم افتح لي أبواب رحمتك» فيصلي ركعتين، ويجلس يتلو القرآن، ثم تقام الصلاة فيؤديها مع الإمام جماعة، ثم يجلس ليقرأ ورده في الذكر بعد الصلاة. ثم يخرج «بسم الله، اللهم صلِّ على محمد، اللهم إني أسألك من فضلك».

ويعود عبدالله إلى بيته مطمئن النفس، منشرح الصدر، قرير العين، لقد اغتسل في محطة التطهير الأولى في يومه، لقد كفرت صلاته ما اقترف قبلها من صغائر الذنوب. هكذا علم من حديث رسول الله. كما أنه نجح في الاختبار وخرج من زمرة المنافقين. إذ «ليس أشد على المنافقين من صلاة الفجر وصلاة العشاء، ولو يعلمون ما فيهما من خير لأتوهما ولو

حبواً..» ويبدأ يومه مغتبطاً بما أنعم الله عليه مسروراً، وها قد حان وقت الخروج إلى العمل.

فإذا كنت ياعبدالله أميراً، فاذكر قوله تبارك وتعالى: ﴿ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض، فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾(٤) وقول رسولنا الكريم ﷺ «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» وإخباره عليه السلام أن أول السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل.

وإذا كنت قاضياً، فاحكم بين الناس بالعدل ﴿ولا يجرمنكم شنئآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾(٥) وتذكر أن القضاة ثلاثة «قاضيان في النار وواحد في الجنة» فاحرص على أن تكون الثالث.

وإذا كنت تاجراً. فاذكر قوله تعالى: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾(٦) ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان، ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا

(٤) سورة ص: ٢٦.
(٥) سورة المائدة: ٨.
(٦) سورة النور: ٣٧.

الميزان﴾(٧) وتذكر أن الدين النصيحة لله ولرسوله وخاصة المسلمين وعامتهم، وأن من غش فليس منا.

وإذا كنت موظفا تقوم على مصالح المسلمين في المستشفى أو الجامعة أوالمدرسة أو الوزارة اعلم ياعبد الله أنك مسئول أمام الله قبل الناس عما استرعاك الله، وأن من أخذ الأجر حاسبه الله على العمل، وعملك أمانة، فأدِّ الأمانة إلى أهلها، وأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه، ياعبدالله استر عورات المسلمين، فمن ستر عورة مسلم ستر الله عورته يوم القيامة.

وإذا كنت عاملاً، فاذكر قوله تعالى: ﴿**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**﴾(٨). وقول رسوله الكريم: «ما أكل أحد طعاماً خيرا من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده». وكن متوكلاً على الله يرزقك الله كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتعود بطانا.

ولا تنس أن تقتنص دقائق من وقتك في العمل تصلي فيه سنةالضحى. وهكذا تمضي فترة العمل اليومي يقضيها عبدالله

(٧) سورة الرحمن: ٧ ـ ٩.
(٨) سورة الملك: ١٥.

مراقبا لله في كل أمر من أموره.

ويحين وقت الظهر فيؤدي صلاته جماعة في المسجد، وكذلك العصر والمغرب والعشاء. فهو يحب كثرة الخطا إلى المساجد فهي كفارات الذنوب، ويعلم أن كل صلاة محطة تطهير لما سبقتها من صغائر الذنوب. ويعلم أن ممن يظلهم الله في ظل عرشه رجلاً قلبه معلق في المساجد.

ويمضي عبدالله بقية يومه وأمسيته، يعود مريضا، ويزور أخا له في الله، ويتفقد يتيماً أو أرملة، ويقضي حاجة لأخيه المسلم، ويجلس إلى حلقة علم، ويهتم بأمور دعوته ويحملها إلى أهل بيته وأقاربه وأصحابه، ويعود إلى أهله، يجلس بين أبنائه يعلمهم أمور دينهم، ويقص عليهم من سيرة رسوله الكريم ﷺ، وسير أصحابه الكرام، ويرشدهم إلى ما ينفع، وينهاهم عن اللهو والمفاسد، ويطمئن على دروسهم، ثم يلجأ إلى كتاب علّه يتزود منه بعلم ينفع به نفسه والناس من حوله، ثم يؤانس أهله، ويدعو بدعاء النوم وينام.

أمضيت يوما في طاعة الله ياعبدالله. فهنيئاً لك فأنت إن شاء الله من الصالحين الأخيار.

البصيرة الثانية عشرة

قصة الحجارة عبر التاريخ

الحمدلله القوي العلام، والصلاة والسلام على رسوله خير الأنام، وعلى آله وصحبه الكرام، ومن سار على نهجهم وسلك طريقهم على الدوام، وبعد:

فإنّ للحجارة قصة طويلة، ممتدة الفصول والحلقات، مختلفة الأبعاد والأطوار عبر التاريخ الطويل للبشرية، إنّها رمز للقوة والصلابة، وهي في الوقت نفسه قوة مطواعة في يد الله يسخرها كيف يشاء، هي جند من جنوده ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾.(١)

فهذا إبراهيم (خليل الرحمن) عليه وعلى رسولنا أفضل الصلاة والسلام حين يلاحقه إبليس محاولا إقناعه بالتمرد على أمر ربه حين أمره بذبح ولده إسماعيل، ومحركاً في نفسه عاطفة الأبوة، يلتقط من بطحاء مكة جمرات يقذفها في وجهه، ويعاود إبليس المحاولة ثلاث مرات في ثلاثة أماكن مختلفة طمعاً في

(١) سورة المدثر : ٣١

النجاح في إقناعه، لكن إبراهيم - عليه السلام - يعاود رجمه في كلِّ مرة حتى ييأس، وتصبح هذه السنة الخالدة واجبا يؤديه الحاج في ذلك المكان إلى يوم الدين اقتداء بسنة إبراهيم الخليل عليه السلام، وتعبيراً عن العداء الأبدي بين المسلم وبين الشيطان.

وحين طلب موسى - عليه السلام - من ربه السقيا لقومه وهم في الصحراء استجاب الله له، وأمره أن يضرب بعصاه حجراً فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا بعدد أسباط بني إسرائيل. فالحجر الذي لا يتوقع عاقل أن يخرج منه الماء يستجيب لأمر خالقه، ويتفجر بالماء العذب الغزير. قال تعالى: **﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا.﴾**(٢) فهل استطاعت عصا موسى اختراق الحجر والنفاذ إلى أعماق الأرض وتفجير الماء؟ ليس ذلك من خواص العصا، وليس من صفات الحجر أن يتأثر بضربة عصا وهو الصلب القوي، ولكنها قدرة الله ومعجزته الكبرى يجريها على يد نبيه، فتتغير خواص الأشياء، ويتفجر الماء غزيراً من الحجر بفعل ضربة عصا، وهي العصا نفسها التي ضرب بها موسى البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم.

(٢) سورة البقرة: ٦١.

وتقسو قلوب بني إسرائيل حتى تصبح كالحجارة أو أشد قسوة بسبب لجاجتهم والتواء طبعهم، ومغالطاتهم، ومماحكاتهم المتكررة، والحجارة التي يقيس قلوبهم بها فإذا قلوبهم منها أجدب وأقسى هي حجارة لهم بها سابق عهد. فقد رأوها تنفجر منها عيون الماء، ورأوا الجبل يندك حين تجلى عليه ربه وخرَّ موسى صعقا.

ولما استحق قوم لوط الهلاك بسبب جريمتهم الشنعاء، أرسل الله لهم ملائكته وأمرهم أن يمطروهم بحجارة من طين مُسَوَّمَة عند ربك للمسرفين، فكانت الحجارة سلاحا إلهياً فتاكاً ومدمراً في يد الملائكة.

ويدور الزمن دورته، ويغزو أبرهة مكة بجيش جرار تتقدمه الفيلة يريد هدم بيت الله العتيق، ويعجز العرب عن التصدي لهذا الزحف أو التحرش به لضآلة مكانتهم، وتفرقهم إلى قبائل متناحرة لا يجمعها دين، ولا توحدها عصبية الجنس، ويقفون موقف المترقب العاجز الذي لا يدري ما يُفْعَلُ به ولا ما يُراد له كحالهم في هذه الأيام، ويتعلق زعيم قريش عبد المطلب بأستار الكعبة وهو يردد أرجوزته المشهورة:

لاهُمَّ إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك

لايغلبن صليبهم ومحـالهم أبدا محـالـك

إن كنت تاركهم وقبلتنا فـأمر مـابدا لـك

وتتدخل القدرة الإلهية في هذه اللحظات الحرجة، التي بلغت فيها القلوب الحناجر، وشخصت فيها الأبصار، تتدخل قوة الله وجنده، فتجتاح الجيش وقائده جماعات من الطير تحصبهم بحجارة من طين وحجر، فتتركهم كأوراق الشجر الجافة المخرمة، ويحفظ الله بيته العتيق، ويسجل القرآن الكريم وقائع الحادثة في سورة كريمة يذكّر الناس بأن الكون وما فيه يأتمر بأمر خالقه، ويتحرك بمشيئته.

وإلى غزوة حنين عندما ولى المسلمون الأدبار ، فيقبض الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ حفنة من تراب وحصى ، ويقذف بها وجوه القوم ، فيولون الأدبار ، ويسجل رب العزة هذه الواقعة وحياً يتلى إلى يوم القيامة ، تتلوها الاجيال جيل بعد جيل : ﴿ **وما رميت إذ رميت ولـكن الله رمى** ﴾ .

والحصى يسبح في يد الرسول ﷺ، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾(٣).

(٣) سورة الإسراء: ٤٤ .

وأحد جبل يبادل الرسول ﷺ الحب والحنين، وكأن له قلبا ينبض بالمشاعر ويجيش بالحب والوفاء، «أحد جبل يحبنا ونحبه».

وتروي لنا كتب التاريخ قصة القائد التركي الذي نفذت ذخيرة جيشه في إحدى المعارك فأشار عليه جنوده بالاستسلام، ولكنه أبى وتذكر قول الله ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ (٤) واستخدم الحجارة بدلا من الذخيرة، واستطاع تحويل الهزيمة إلى نصر.

وفي الأرض التي بارك الله فيها أطفال لم يبلغوا سن الرشد يقذفون اليهود اليوم بالحجارة، بعد ان انتظروا طويلا نجدة الأهل والعشيرة فلم يصلهم منهم سوى عبارات الاستنكار والتنديد والوعود الجوفاء، وانتظروا المنظمات الدولية لتعيد لهم الأرض التي طردوا منها، وتخليصهم من الظلم الذي لحق بهم، فلم تقدم لهم سوى القرارات والوعود الكاذبة. إنَّ حجارتهم أمضى من صواريخ الجيوش وأفتك، وهي تثير الرعب والفزع في نفوس اليهود الجبناء، لأنها تنطلق من الأيدي المتوضئة التي آمنت بربها وحملت الأرواح على أكفها وهي تردد:

سأحمل روحي على راحتي
وألقي بها في مهاوي الردي

(٤) سورة الأنفال: ١٧

فـإمـا حـيـاة تـسـر الـصـديـق
وإمـا مـمـات يـغـيظ الـعـدا

وليس على الله بعزيز أن يهلك هذه العصابة الظالمة المعتدية من يهود، كما أهلك أبرهة وجنوده بحجارة الطير الأبابيل، وكما قتل داود بحجارة مقلاعة جالوت **﴿وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك﴾**(٥).

إن الحجر الذي كان في يوم من الأيام أداة طيعة في أيدي اليهود فجّر لهم الماء حين كانت فيهم بقية من خير، هذا الحجر يصبح اليوم لعنة تطاردهم، وعدوا يخيفهم ويرعبهم.

ونمضي مع قصة الحجر حتى نصل إلى العهد الذي أشار إليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله :« لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودي خلفي تعال فقتله ، إلا شجر الغرقد فإنه من شجر اليهود » ، **سيتعاون الحجر والشجر في إرشاد المسلمين ودلالتهم على اليهود في أرض فلسطين ، وستكون الحجارة والأشجار من جند الله تعين عباد الله المؤمنين ، وتكشف مخابئ اليهود وأماكن اختفائهم .**

(٥) سورة البقرة: ٢٥١.

وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾** (٦) وحينئذ سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

(٦) سورة الإسراء: ٧.

البصيرة الثالثة عشر

عودة حركة النفاق في واقع المسلمين المعاصر

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فتعود حركة النفاق اليوم متمثلة في صحفيين وكتاب ومؤلفين ورجال فكر ورجال علم يربط بينهم رباط خفي، يوجّه حركتهم في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، ويخفون كفرهم وباطلهم بغلالة رقيقة من إسلام ظاهري، يروجون به باطلهم وكفرهم كي يجوز هذا الباطل على الغافلين في ديار المسلمين.

وكانت حركة النفاق قد استعلن كفرها في القرن المنصرم، ذلك أنَّ سيوف الإسلام التي ترهب أهل الكفر قد تهاوت عندما اجتاحت جنود الكفر دولة الإسلام فأسقطتها ومزقتها وأذهبت ريحها وبأسها.

والنفاق تتأصل جذوره عندما يكون للمسلمين قوة ترهب أعداء الله الرابضين بين أظهر المسلمين، فيحتاجون إلى إعلان الإسلام مع إبطانهم الكفر حماية لوجودهم وفوزا بأموالهم، ﴿إذا

جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله، والله يعلم إنك لرسوله، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون، اتخذوا أيمانهم جنّة فصدُّوا عن سبيل الله﴾(1).

وقادة المنافقين الذين يخططون لهم، وينظمون حركتهم، ويغذونهم بالباطل والكفر يسميهم القرآن بالشياطين **﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم﴾**(2) وقادة المنافقين قد يكونون من المنافقين وقد يكونون من الكفرة المشركين أو اليهود أو غيرهم، وهم يتصلون بالمنافقين في ديار المسلمين عبر قنوات خفية مستورة، وبذلك يكون المنافقون أخطر على المسلمين من الكفرة المستعلنين، وقد استطاع المنافقون بمكرهم الخفي الدؤوب أن يفرقوا صفوف المسلمين، وينشروا فيهم العقائد والمبادىء التي جعلتهم فرقا وأحزاباً، وما دور عبدالله بن سبأ اليهودي الذي ادّعى الإسلام بسرّ، فقد قام بدور عجزت عن القيام به جيوش المشركين.

وقد أقام المنافقون الحركات السرّية التي فعلت فعلها في ديار المسلمين، وكانت الأداة التي تمهد لأهل الكفر احتلال الديار الإسلامية.

(1) سورة المنافقين: ١ -٢
(2) سورة البقرة: ١٤.

وقد عادت حركة النفاق اليوم، لقد عاد كثير من أعداء المسلمين إلى جحورهم يكيدون للإسلام وأهله وهم يستترون بستار الإسلام، وسبب العودة هو فيئة المسلمين إلى دينهم، واحتقارهم لأهل الكفر والضلال من المرتدين الذين اعتنقوا الشيوعية والاشتراكية والعلمانية ونحوها، وشكَّل المسلمون قوة ترمي أعداء الله إن هم أعلنوا كفرهم بقوس شديدة، فقرر قادة الكفر من الشيوعيين واليهود والنصارى أن يربوا أجيالاً على النفاق تعمل في صفوف المسلمين في كل المجالات تظهر الإسلام، وتصلي في المناسبات، وتؤدي بعض الشعائر، ثم تظهر بمظهر الحريص على هذا الدين، فيثق بهم الغافلون البسطاء فيبثون فيهم سمومهم ويقوم هؤلاء المنافقون معلمين ومربين وموجهين وسياسيين ورجال علم وقادة فكر، وتصنع لهم الأمجاد الزائفة، كي تنبهر بهم الأجيال، وتتخذهم منارات يُهْتدى ويُقْتدى بها، وواقع أمرهم وحقيقته أنهم أعداء لله ورسوله همهم أن يكيدوا للإسلام وأهله، ويدمروا الفطر الصافية والعوالم الخيرة.

وأمر هؤلاء لا يخفي على ذوي الفطنة، الذين أوتوا بصيرة في دينهم، فدعواهم الإيمان والإسلام لا تنطلي على العباد ولا على ربِّ العباد ﴿**يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا**

أنفسهم وما يشعرون﴾[٣].

وأهم معالمهم أنهم يَزْوَرُّون بالإسلام ومنهجه، فتراهم يحيدون عنه حيدة السليم عن المجذوم ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدُّون عنك صدوداً﴾[٤].

وهم وإن قاموا ببعض الشعائر، إلا أن التكاليف الشرعية ثقيلة عليهم ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلاَّ قليلا﴾[٥].

أما الجهاد فإنَّ قلوبهم تنكره، ويحاولون الهرب منه بكل سبيل عندما يدعون إليه: ﴿لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون﴾[٦]. وَوَعْدُ الله ورسوله بالنصر عند هؤلاء سراب وخداع وغرور ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾[٧]. وهم يمثلون في الواقع المعاصر كما كانوا من قبل كتلة تدعم الشر والفساد وتحارب القيم الصالحة، والفضائل ﴿والمنافقون والمنافقات

(٣) سورة البقرة: ٩.
(٤) سورة النساء: ٦١.
(٥) سورة النساء: ١٤٢.
(٦) سورة التوبة: ٥٧.
(٧) سورة الأحزاب: ١٢.

بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم، نسوا الله فنسيهم، إن المنافقين هم الفاسقون﴾(٨).

إننا ندعوك أخي المسلم أن تَحْذَر أهل النفاق، وتَحْذَر سمومهم التي ينفثونها صباح مساء عبر أجهزة الإعلام المختلفة وفي المجالس والمحافل، قد ترى أجساماً متناسقة وأشكالاً حسنة وكلاما بليغاً، ولكنها مظهر لا مخبر له، وطبل أجوف ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة﴾(٩). يحلفون لكم ليرضوكم ويجوز عليكم باطلهم ﴿يحلفون بالله ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين﴾(١٠). يزعمون أن لا مناص للمسلمين من الانضواء تحت سقف قوة كبرى كما قال سلفهم في الماضي ﴿ياأهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا﴾(١١).

ويزعمون أن الصحوة المباركة فقاعات سرعان ما تنطفىء وتخبو وتزول، وينسبون إلى حملة الإسلام ودعاته كل نقيصة، وهم الممرغون في الأوحال والأقذار.

(٨) سورة التوبة: ٦٧.
(٩) سورة المنافقين: ٤.
(١٠) سورة التوبة: ٦٢.
(١١) سورة الأحزاب: ١٣.

إنَّ هذا الصنف من البشر أخس الناس وأرذلهم، ولذلك كانوا في الدرك الأسفل من النار **﴿إنَّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾**[١٢].

إننا ندعوك إلى أن تفتح عينيك على هذا الصنف من الناس، وأن تكشف زيفه وباطله، وأن تحمي نفسك وأهلك وأمتك من مكائده ودسائسه، وأن تحتمي بالله ربك من كيدهم ومؤامراتهم **﴿يأيها النبي اتق الله ولاتُطع الكافرين والمنافقين إنَّ الله كان عليماً حكيماً﴾**[١٣] **﴿ولا تُطِع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا﴾**[١٤].

بارك الله فيكم، وسدد خطاكم، وحفظنا وإياكم من كل مكروه، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

(١٢) سورة النساء: ١٤٥.
(١٣) سورة الأحزاب: ١٠.
(١٤) سورة الأحزاب: ٤٨.

البصيرة الرابعة عشرة

طهروا أنفسكم من أدران النفاق.. تنجوا وتسعدوا..

الحمدلله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، ونخص من بينهم خاتمهم وأكرمهم محمداً صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وبعد:

أيها القارىء الكريم: إننا نتوجه بهذه الكلمة إليك عبر هذه البصيرة يحدونا أمل كبير في أن تفتح لنا قلبك وأن ترعنا سمعك، وأن تقبل منا كلمة نصح نريد بها الثواب من الله، والنفع لعباد الله.

أخانا الكريم: حفظك الله ورعاك، إننا نريدك أن تتطهر من أمراض الشرك والذنوب والنفاق، وأن تجتهد لتحقيق ذلك ما وسعك الجهد، وأمكنك العمل، وثق أن الذي يجهد نفسه في هذا السبيل موفقٌ معانٌ **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾**(١).

(١) سورة العنكبوت: ٦٩.

إننا نثق بأن العاملين في الصف الإسلامي حازوا الإسلام والحمدلله، وخلصوا من الكفر والشرك عندما رضوا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا. ونثق أيضا أنهم خلصوا من النفاق الأكبر ألا وهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر، فليس هناك ما يدعو واحداً من المنافقين إلى تحمل أعباء الدعوة ومجال الحياة أمامه واسع رحب، بإمكانه أن يقبع في زاوية من دنيا البشر بعيداً عن تكاليف الدعوة وأعبائها.

ولكن الذي نريدك أن تجاهد نفسك فيه هوالتخلص من شُعَبِ النفاق وطرائقه وأخلاقه وأهله، فالنفاق قد يغزو النفوس المؤمنة، وقد يكدر صفوها، ويدفع بهذه النفوس إلى طرق ملتوية.

وقد جاءت الأحاديث محذِّرة كلَّ التحذير من أن تصيب المؤمن قاذورات النفاق وعفونته، ففي الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهنَّ كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر».

وفي حديث أبي هريرة في الصحيحين «آية المنافق ثلاثة: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان» وفي رواية

لمسلم «وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم».

وجملة هذه الأحاديث جعلت أصول النفاق خمسة: الكذب في الحديث، والإخلاف في الوعد، والفجور في الخصومة، والغدر في المعاهدات، والخيانة في الأمانة.

ويجمع هذه الخصال أن يقول الإنسان بلسانه ما ليس في قلبه، يقول ابن رجب: «حاصل الأمر أن النفاق الأصغر كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية».

وقد جاء عن الحسن البصري: «من النفاق اختلاف القلب واللسان، واختلاف السر والعلانية واختلاف الدخول والخروج».

فإذا فقهت ذلك فإنك مطالب بتخليص نفسك من شعب النفاق وأدرانه، وإذا نظر الإنسان في أعماله وتصرفاته وأقواله ووعوده وعهوده فإنه يجد نفسه على خطر عظيم.

لقد عاهدنا الله العظيم على أن نقوم بشأن هذه الدعوة، وأن نقدم لها أنفسنا وأموالنا، وأن نضحي بأوقاتنا لأجلها، وأن ننشط في شأن رفعتها وعزتها، فما مقدار وفائنا، وإلى أي مدى حافظنا على أماناتنا، وأغلى الأمانات التكاليف الشرعية التي أناطها الشارع بنا، فإن حفظ هذا الدين والعمل به هو الأمانة

التي هابت السموات والأرض من حملها ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾(٢) وتضييع الأمانة خيانة والله يقول: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾(٣).

روى لنا أهل العلم أن عبدالله بن عمرو لما حضرته الوفاة وكان قد خطب إليه رجل ابنته فقال: «انظروا فلانا ـ لرجل من قريش ـ فإني قلت له في ابنتي قولا يشبه العِدَة، وما أحب أن ألقى الله عز وجل بثلث النفاق، فأشهدكم أني قد زوجته».

وحذر الرسول ﷺ امرأة سمعها تقول لابنها: تعال أعطيك، من أن هذه المقولة تكتب عليها كذبة إن هي لم تعط ابنها شيئا.

وسأل رجل ابن عمر عن أقوام يجلسون إلى الأمراء فيصدقونهم فيما يقولون، ويقرونهم على الحكم بغير الحق، فقال ابن عمر للسائل: «يابن أخي، كنا مع رسول الله ﷺ نعد هذا النفاق». فإذا كان هذا من ألوان النفاق، فكم مرة نمارس النفاق في كل يوم؟.

(٢) سورة الأحزاب: ٢٧.

(٣) سورة الأنفال: ٢٧

إننا نَعِدُ أبناءنا وأزواجنا، ونَعِدُ إخواننا الذين نرعاهم ونربيهم، ونتعامل معهم، ونخالط الناس ونعاملهم، وفي كلامنا وحديثنا أخبار ووعود، وفي الحديث خصومة ومشكلات، وعلينا أن نكون في ذلك كله نمطاً إسلاميا راقيا، يصدر فيما يقصد ويقول وَيَعِدُ عن نية صادقة، وتوجه أصيل، وقول صادق، وعدة موفاة ما أمكن تحقيق التوفية، وإلا فإن هذا النفاق الأصغر سيكون بريدا يوصل إلى النفاق الأكبر الذي يغشى القلب ويطمس نور الإيمان، وقد أخبر الحق أن قوما أخلفوا الله ما عاهدوه عليه من التصدق إذ آتاهم من فضله فأعقب هذا الإخلاف نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه: **﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون، فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه، وبما كانوا يكذبون﴾**[٤].

إياك أخي أن تأمن على نفسك هذا المرض الخطير والشر المستطير. فإنَّ المرء قد يصيبه الداء العضال إذا لم يق نفسه قبل الإصابة، وقد يستفحل المرض إذا لم يداو نفسه بعد الإصابة، وقد كان القمم من أصحاب رسول الله يخشون على أنفسهم النفاق، فهذا أحد التابعين يقول: «أدركت بضعا وسبعين من

(٤) سورة التوبة ٧٥ ـ ٧٦.

أصحاب رسول الله كلهم يخشى على نفسه النفاق». وهذا عمر كان يقسم على من استأمنه الرسول ﷺ على أسماء المنافقين وهو حذيفة بن اليمان هل سماه رسول الله ﷺ من المنافقين.

وهذا أبو الدرداء يصلي فلما جلس يتشهد جعل يتعوذ من النفاق، فلما سأله جليسه عن سر استعاذته منه قال: «اللهم غُفْرا - ثلاثا - لا تأمن من البلاء، والله إنَّ الرجل ليفتن في ساعة فينقلب عن دينه».

وهذا الحسن البصري يقول: «والله ما أصْبَحَ ولا أمسى مؤمن إلا وهو يخاف النفاق على نفسه».

وهذا رجل صالح يقول: «أبعد الناس عن النفاق أشدهم خوفا منه، الذي لا يرى أنه ينجيه منه شيء، وأقرب الناس منه الذي إذا ذكره أحد بما ليس فيه ارتاح قلبه».

وهذا إبراهيم التيمي يقول: «ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً».

ليكن شعارنا دائماً شعار الأتقياء الصالحين: صدق في الحديث، ووفاء بالوعد والعهد، وعدل في الخصومة، وأداء للأمانة، وإن شئت أن تتوسع في دراسة هذا المرض الخطير وما قال فيه أهل العلم فارجع إلى (جامع العلوم والحكم) لابن

رجب في شرحه للحديث الثامن والأربعين. وإلى كتاب (دراسات في القرآن الكريم) للدكتور محمد عبدالسلام. وإلى كتاب: (صفة النفاق وذم المنافقين) لأبي بكر الفريابي، والله يحفظك ويرعاك، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

البصيرة الخامسة عشرة

فضل يوم الجمعة

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإنَّ البصيرة التي بين يديك تتعلق بشعيرة هامة من شعائر هذا الدين المتين، إنها شعيرة يوم الجمعة العظيم، الذي جعل الله له منزلة ومكانة على ما سواه من الأيام، وقد اختص الله تعالى الأمة بهذا اليوم، «فقد أضل الله تبارك وتعالى عن الجمعة من كان قبلنا، وكان لليهود يوم السبت، والأحد للنصارى، فهم لنا تبع إلى يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق»(١) و«خير يوم طلعت عليه الشمس هو يوم الجمعة، فيه خلق الله آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها»(٢).

(١) رواه البزار وابن ماجه ورجالهما رجال الصحيح.
(٢) رواه مسلم وغيره.

ومن بركات هذا اليوم أن الله يغفر لعبده ما ارتكب ما بين الجمعتين من آثام وخطايا، إذا اجتنب الكبائر فـ «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[٣] بل إن ذلك الثواب يتعدى الأسبوع إلى عشرة أيام، لأن الحسنة بعشرة أمثالها.

ومن بركات هذا اليوم العظيم، أنه ما من مسلم يهلك في يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله شر فتنة القبر وعذابه، وما أدراك ما فتنة القبر، تلك الفتنة التي كان يستعيذ بالله منها رسول الله ﷺ في كل صلواته، وكان يأمر أصحابه بذلك قائلاً: «تعوذوا بالله من عذاب القبر»[٤] وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن رسول الله ﷺ قوله: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر» والحديث صحيح بمجموع طرقه أو حسن، فيوم الجمعة هو خير يوم تلقى فيه ربك.

وفي هذا اليوم العظيم ستكون نهاية الحياة على وجه الأرض وقيام الساعة، والساعة أدهى وأمر، وحشر الناس والقضاء بينهم إما إلى جنة وإما إلى نار، وفي هذه الليلة ما من شيء إلا وهو مشفق وجل من قيام الساعة إلا هذين الثقلين:

(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.

الإنس والجن، وإن تعجب فعجب لابن آدم، ما تراه أغفل ولا أفجر ولا أطغى في يوم من الأيام منه في يوم الجمعة أو ليلة الجمعة، وما رصد قوم لهم عبثا أو لهوا أو فجورا أو فسوقا إلا وجعلوه في يوم الجمعة أو ليلة الجمعة، ويح ابن آدم ما أكفره وأظلمه.

وفي هذا اليوم العظيم، يجزل الله العطاء لعباده، ويفيض عليهم من فضلة فـ«من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرَّب بدنه، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرَّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرَّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرَّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»(٥).

قال العلماء في شرح الحديث: أي كان له من الأجر كمن اشترى شيئاً مما ذكره الحديث، ووزعه على فقراء المسلمين، فمن ذهب في الساعة الأولى كان كمن اشترى من ماله الخاص بدنة (ناقة) فذبحها ثم وزعها على فقراء المسلمين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

(٥) متفق عليه.

وفي هذا اليوم العظيم ساعة من ساعاته «لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه وأشار بيده يقللها»(٦) وقد تضاربت الآراء حول موعد هذه الساعة، والأرجح ما قالته طائفة من العلماء منهم الرافعي وصاحب المغني أن ساعة الإجابة مخفية في جميع اليوم، كما أخفيت ليلة القدر، وقد روى الحاكم وابن خزيمة عن أبي سعيد الخدري أنه قال: سألت رسول الله ﷺ عنها فقال: «قد علمتها ثمَّ أنسيتها كما أنسيت ليلة القدر». والله أعلم.

وأهم ما في يوم الجمعه المبارك، صلاة الجمعه وقد أمرنا الله سبحانه بالحرص عليها وعدم التخلف والغياب مهما كانت الأعذار، وقد رفع القول إلى رسول الله ﷺ بتخلف رجال من المسلمين عن الجمعة فقال: «لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس ثم أحرّق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم»(٧).

وعن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من

(٦) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
(٧) رواه مسلم.

الغافلين»[٨].

وكما أمر العبد المسلم بالقدوم إلى الجمعة، أمر بحسن الاستماع والإنصات لقوله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصا فقد لغا»[٩]. وأعظم وأكبر به من حديث، فمن مس حصا المسجد أو عبث بشيء من متاعه والإمام يخطب فقد لغا في جمعته، وما من دين على وجه الأرض يلزم مؤمنيه في يوم من أيام الأسبوع أن يؤتوا إليه مذعنين كما ألزم الإسلام المسلمين في يوم الجمعة بالاستماع والإنصات كأشد ما يكون الاستماع والإنصات إلى خطبة الجمعة لا يلتفتون عنها بشيء ولا يردون السلام ولا يشمتون العاطس إذا عطس، كلهم آذان صاغية، كأن على رؤوسهم الطير، فياليت شعري لو يدرك خطباء الجمعة ذلك فيقدروا لذلك الإنصات والاستماع قدره من القول البليغ يصلون به إلى شغاف قلوب المسلمين وأن يتقوا الله ويدعوا ما ألفوا تكراره من القول الرتيب الممل الذي لا يزيد جمهور المسلمين إلا نفوراً.

وختاماً أيها المسلم: لا تجعل جمعتك جمعة عبث ولهو

(٨) رواه مسلم.
(٩) رواه مسلم.

كدأب الناس على ذلك، واقدر لهذا اليوم العظيم قدره، ودونك هذه الأمور فالزمها:

ـ الحرص على صلاة فجر الجمعة جماعة، فإنها أحب الصلوات إلى الله.

ـ قراءة سورة الكهف في يوم الجمعة وليلتها ليعصمك الله بذلك من الفتنة العظمى، فتنة المسيح الدجال.

ـ خذ زينتك وطيبك عند بيوت الله، وكن من المبكرين، وأحسن الاستماع والإنصات.

ـ أكثر من الدعاء فلعلك تصادف ساعة الاجابة، فتصيب فضلا عظيما.

ـ احرص على صلة الرحم فإنها موصولة بعرش الرحمن يوصل من وصلها ويقطع من قطعها.

ـ اجعل لزوجك وولدك نصيبا من هذا اليوم تؤانسهم فيه واجعل منه يوما مميزا لهم عما سواه من الأيام.

البصيرة السادسة عشرة

الالتزام بين التنظير والتطبيق

قال تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾[1].

فهل فكر كل منا بهذه النعم؟

وهل فكرت بمدى عِظَم هذا التكريم من الله ملك الملوك ورب الأرباب؟

وهل عمل بمقتضيات هذا التفضيل؟ ونزّه نفسه عن كل ما يغضب الله؟

وهل شكر الله حق شكره على هذه النعم؟

فقد وهب الله للإنسان نعمة العقل الذي يميِّز به بين الخير والشر، ولم يشأ الله أن يتركه يتخبط في حياته، بل أرسل له الرسل مبشرين ومنذرين، وأرسل معهم رسالات السماء

(١) سورة الاسراء: ٧٠.

توضح الطريق القويم، حيث كلف الإنسان بإعمار الأرض ونشر الخير والسعي فيها بما يصلحها ومنع عنها الفساد﴿أفحسبتم أنَّما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾(٢). ﴿قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾(٣).

فمن ألزم نفسه بمنهاج الله فقد فاز ومن تفلت فقد خسر وخاب.

وهذا شأن الله جلت قدرته في الكون كله، فكل مخلوقات الله ملتزمة بأمر الله، فالشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب كلها مسخرات بقدرة الله وبحكمته ومشيئته لا يخرج شيء منها عن ذلك ولا يحيدون ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾(٤).

فكل ما في الكون ملتزم إلا أن الإنسان بما وهبه الله من

(٢) سورة المؤمنون: ١١٥.
(٣) سورة البقرة: ٣٨ - ٣٩
(٤) سورة يس: ٤٠

عقل جعل التزامه بأمرالله ونهيه عن إدراك ومعرفة تمييزا له عن سائر الخلائق التي ألزمها الله دورها دون اختيار أو تدبير. لذا فقد ترتب على التزام الإنسان حساب وجزاء ولم يترتب على غيره من المخلوقات ممن لا خيار لها.

وجاء الإسلام ليرسم للمسلم منهاجا دقيقا في الحياة يحدد فيه مساره حتى يلقى ربه، وأمره بالالتزام به والسير عليه، فمن سار على ذلك المنهج فهو الملتزم، وقد توعد الله لمن تفلت أو خرج أو انحرف عنه بالهلاك والخسران في الدنيا والآخرة﴿**وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾(٥)، ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى**﴾(٦).

والالتزام عهد بين الله وبين عباده..

فهل جلس كل منا يحاسب نفسه على مدى هذا الالتزام؟؟

هل عرّف نفسه أحكام الحلال والحرام؟ وهل منع نفسه عن الحرام؟

هل أخذ نفسه بعزائم الأمور؟

هل حاسب نفسه باستمرار وكسر شهوتها ورغائبها الدنيوية

(٥) سورة الانعام: ١٥٣.

(٦) سورة طه: ١٢٤.

لتستقر على الطاعة؟
هل ارتقى بنفسه بالطاعات والنوافل؟
هل عبد الله حق عبادته خوفا وطمعا؟
وهل جلس كل منا يحاسب نفسه على تقصيره تجاه أهله؟
وهل حاسب نفسه على تقصيره تجاه مجتمعه؟
هل أمر بالمعروف ونهى عن المنكر؟
هل عرّف ما يعلم لمن لا يعلم؟
هل دعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة؟
هل تحرّق لايصال الخير لمن حوله كما يتحرّق على ابنه المريض؟
هل ساهم في بناء مجتمعه وتطويره نحو الخير والرشاد؟
أسئلة كثيرة يتفطر لها القلب حين لا يجد لها جوابا بالايجاب؟

فكيف بك حين تسأل هذه الأسئلة من رب الأرباب أمام الخلائق يوم الحساب ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾(٧).

إخوة الايمان.. «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم». فاليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل.

(٧) سورة الحج: ٢

وتذكروا أنَّ الشكر على النعم أشقُّ بكثير من الصبر على البلاء..

أخي المسلم: إن الالتزام بأخوة الإسلام درجة عظيمة في ميزان الشريعة الإسلامية، وهذا النوع من الالتزام هو السور الذي يصون المرء من الوقوع في الخلل، فمجالس الإخاء تذكرك إن نسيت، وفيها التناصح والتواصي بالحق والصبر، وفيها التحفيز على المعاني الخيرة، وفيها فتح آفاق عمل الخير، وفيها يعرف الإنسان ما له من حقوق وما عليه من واجبات، واللقاءات المستمرة خير وسيلة للالتزام بحقوق الرب والنفس والمجتمع والأهل.

لذا وجب الالتزام التام بما تفرضه هذه الاخوة وأخذه بالجدية والحماس والاجتهاد، وهو نوع من الالتزام لا يسع المسلمين الاخلال به أو الإهمال فيه أو الخروج عليه، وتذكروا أن يد الله مع الجماعة، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

ومما يعين على الالتزام:

١ ــ التذكر بأنَّ الإلتزام بأخوة الاسلام واجب، وهو نوع من العبادة وصورة من صور الطاعات.

٢ ــ حسن التوجه إلى الله، فإنه مدعاة للالتزام.

٣ ـ محاسبة النفس على تقصيرها في أمرها إن قصّرت بأمر مطلوب أو عند ارتكاب شيء محظور، وعلاجه بالاستغفار وصدق التوبة إلى الله.

٤ ـ حسن الالتزام بالأوامر والنواهي (ما لم تؤمر بمعصية).

٥ ـ الاكثار من الطاعات والنوافل وقيام الليل وصيام التطوع، وكثرة الذكر والشكر «فمن ابتلي فصبر، وأعطى فشكر، وظلم فاستغفر، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون».

٦ ـ المطالعة والاستماع للتعرف على مالك من حقوق وما عليك من واجبات وتذكير نفسك وإخوانك بها.

٧ ـ التذكير والتفكر ودوام المراقبة لله تعالى وتخوفك من الله والقيام بما ينبغي على المؤمن أن يقوم به.

كل ذلك لينال المؤمن خير الدنيا والآخرة.

والحمد لله أولا وآخرا

البصيرة السابعة عشرة

ميزان في النصيحة

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن من أعظم ما أنعم الله علينا به هذه الأخوة التي ننعم في ظلالها الوارفة ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾(١).

وعلى المسلم أن يتجنب كل ما من شأنه أن يحطم هذه الأخوة ويتلفها، ومن أخطر ما يوغر الصدور، ويجلب الشحناء، ويوقع الفرقة والخصام بين الأخوة المتحابين أن يتتبع المسلم عورة أخيه، ويُعَيِّره بما يصدر منه من أخطاء وذنوب، وقد يتعدى المسلم ذلك إلى إشاعة السوء عن أخيه المسلم، ويكشف عورته، وعقوبة من أشاع السوء عن أخيه المؤمن، وتتبع عيوبه وكشف عورته، أن يتتبع الله عورته ويفضحه ولو في جوف بيته.

(١) سورة آل عمران: ١٠٣

فقد جاء في الحديث: «من عيّر أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله» رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب. وجاء في الحديث الآخر الذي رواه الترمذي وحكم عليه بنفس الحكم: «لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك» وجاء في الحديث الذي يرويه أبو داود والترمذي وأحمد وابن حبان أن الرسول ﷺ خاطب الذين يتتبعون عورات المؤمنين قائلا: «يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنّه من يتتبع عوراتهم يتتبع الله عورته، ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته».

وقال الحسن البصري: «كان يقال: من عيّر أخاه بذنب تاب منه لم يمت حتى يبتليه الله به» وقد حفظ لنا التاريخ أخبار أقوام مكروا بإخوانهم فعاد مكرهم عليهم، ونجّى الله الممكور بهم وأعلى مقامهم، وما أخبار نبي الله يوسف وإخوانه ببعيد عن أذهاننا.

قد تقولون: إنَّ هذا الذي تقرره يغلق باب النصح الذي أمر به الله ورسوله، ويخالف القاعدة العظيمة التي قررها الكتاب والسنة، وهي قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والجواب: أنك إن واجهت أخاك بذنبه وخطئه مريدا بذلك نصيحته كي يقلع عن ذنبه ويترك خطأه، فهذه نصيحة،

وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وأنت بذلك مثاب مأجور غير مأزور، ولكن إن أظهرت النصح، وقصدت من ورائه إظهار عيب أخيك، وبيان جهله، وقصور علمه، وإظهار السُّوء عنه وإشاعته في قالب النصيحة فإن هذا ليس من خلق المسلمين، بل هو من أخلاق المنافقين الذين ذمهم الله في محكم كتابه، فإنَّ الله ذمّ من أظهر فعلا طيباً وقولا حسناً وأراد بذلك التوصل إلى غرض فاسد يقصده في الباطن، وعَدَّ ذلك من خصال النفاق كما في سورة براءة التي هتك الله فيها ستر المنافقين الذين بنوا مسجدا ضراراً ليجعلوه منطلقا للضرار والكفر وتفريق المؤمنين.

يقول ابن رجب الحنبلي: «إن ذكر الإنسان بما يكره محرم إذا كان المقصود منه مجرد الذم والعيب والنقص».

إن النصيحة الصادقة تصدر من قلب محب مشفق رحيم بالمؤمنين، وهذا هو الوصف الذي كان يتحلى به رسولنا الكريم: **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾**(٢) والرحمة فيما بين المسلمين خلق يتواصى به المؤمنون **﴿وتواصوا بالصبر وتواصوا**

(٢) سورة التوبة: ١٢٨.

بالمرحمة﴾[3] وإرادة الضرر بالمؤمن وهتك عرضه وإيذائه يصدر عن خلق القسوة والغلظة، وهذه صفة الشيطان الذي يزين للمؤمنين الفاحشة والمعاصي بصورة حسنة مظهراً لهم النصح مريداً بهم الشر.

إنَّ قصد المؤمن الصادق النقي النصيحة الصادقة، وقصد الذي يبطن الإضرار من وراء النصيحة الفضيحة، «وشتان بين من قصده النصيحة وبين من قصده الفضيحة» والنصيحة الصادقة تقضي بأن يحسن المسلم نصح أخيه، فينصحه سراً، ويظهر له في نصحه حرصه عليه وحبه له، ولا يقف منه في نصحه موقف المتعالي، ولا يفضح أمره، ويكشف سره، فإنَّ فَضْحَ أمره وكشف عيبه من إشاعة الفاحشة والله يقول: ﴿إنَّ **الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة**﴾[4] وفي هذا المعنى يقول الفضيل بن عياض: «المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعيّر».

ويقول ابن رجب: «كان السلف يكرهون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علانية ويحبون أن يكون سراً فيما بين الآمر والمأمور، فإنَّ هذا من علامات النصح، فإنَّ الناصح ليس له

(٣) سورة البلد: ١٧
(٤) سورة النور: ١٩.

غرض في إشاعة عيوب من ينصح له، وإنما غرضه إزالة المفسدة التي وقع عليها. ثم نصيحة العلانية تجرأ الناس على الذنوب وتشهرها وفي هذا يقول أهل العلم: «اجتهد أن تستر العصاة، فان ظهور عوراتهم وَهَنٌ في الإسلام، أحق شيء بالستور: العورة». والتعالي في النصح يشعر بالتوبيخ والتأنيب أكثر مما يظهر النصح، وقد قيل لبعض السلف: «أتحب أن يخبرك أحد بعيوبك، فقال: إن كان يريد أن يوبخني فلا»، وقد نهى الرسول ﷺ أن يثرّب على الزانية مع أمره بجلدها، فتجلد حدّا ولا تعيّر بالذنب، ولا توبخ به.

وفي ختام هذه البصيرة هناك أمران ينبغي أن يتنبه لهما:

الأول: أن علماء الحديث في نقدهم للرجال الذين حفظوا حديث رسول الله ﷺ لم يكن لهم قصد إلا حفظ حديث رسول الله ﷺ، وتحقيق هذا أمر عظيم، وهو من النصح لله ولرسوله، ولم يقصدوا من وراء جرح الرجال وبيان عيوبهم التعيير بحال. ومثل هذا يقال في العلماء الذين يبينون أخطاء غيرهم من أهل العلم، فإن العالم مطالب بإظهار الحق، وبيان الخطأ، وليس في هذا تهوين لشأن من بينت خطأه، بشرط أن تقصد النصح لله ولرسوله ولدينه، ولا يكون قصدك التعيير والتجهيل والإضلال، وقد يشتد أهل العلم في بيان الخطأ إذا كان كبيراً لئلا يغتر

الناس بمقالة من أخطأ في مقالاته.

والثاني: كان هدي أهل العلم الشدة في مخاطبة أهل البدع والاغلاظ لهم في القول.

وإن شئت التوسع في معاني هذه البصيرة فاقرأ كتاب «الفرق بين النصيحة والتعيير» لابن رجب الحنبلي، وهو كتاب صغير متوفر في الأسواق.

وفقك الله ورعاك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

البصيرة الثامنة عشرة

إن كنت عالي الهمة فلا ترضى بما دون الجنة

أخي الداعية: رسم الله سبحانه وتعالى طريقا لهذه الدعوة وبين أن هذا الطريق طويل وشاق، مملوء بالأشواك والصعاب، لا تتحمله إلا نفوس الرجال، ولا تقوم به إلا همم الصادقين الأبطال، ولا تقدر على مواصلة السير فيه النفوس المريضة المترهلة ممن أصابها وهن العزيمة ونضب وقود الإيمان فيها. هذا الطريق هو طريق الأنبياء، فيه تعب آدم، وناح لأجله نوح، ورمي في النار الخليل، وأضرج للذبح اسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، وقاسى المرض أيوب، وكذا سيرة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين.

أخي الداعية: وأنت في هذا الطريق الطويل.. تلزمك همة عالية تعلو بك في المرتقى الصعب.. همة المؤمن التي لا تجعله يتوانى لحظة في حق الله تعالى عليه، ومن وهب نفسه لله وعاهد الله على ذلك فليستعد لكل طارىء، واعلم أنك تختار

من بين الناس لتقود الناس، فهمك غير همهم، ومشاكلك غير مشاكلهم وتفكيرك غير تفكيرهم..

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

اشمخ في فكرك ونشاطك ولا تنظر إلى الجاهلين، واعلم أن الهمة بمجرد أن ترتقي درجات العلو تنقل صاحبها نقلة بعيدة في هذا الشموخ، يصورها سيد قطب رحمه الله حين يقول في ظلاله: «.. كما ينظر الكبير إلى عبث الأطفال، ومحاولات الأطفال، ولثغة الأطفال..».

والصحابي الجليل أبو خيثمة يعلمنا درسا كيف يكون المسلم الحق مع همته إن هي ركنت للراحة.. حين تأخر عن اللحاق برسول الله عليه الصلاة والسلام في غزوة تبوك، وأراد دخول بستانه فنظر فإذا كل من زوجتيه قد أعدت له فراشه وطعامه وشرابه!!.. فوقف على باب البستان متذكرا حال رسوله في هذه اللحظات وقال: «رسول الله في الضحِّ والحر الشديدين وأبو خيثمة في ظل بارد، وطعام وشراب مهيأ وامرأة حسناء، والله لا أقعد حتى ألحق بالرسول عليه الصلاة والسلام».

وشيخ المجاهدين المعاصرين الشيخ عبدالله عزام ـ رحمه الله ـ يسطر بدمه أروع صور الهمة العالية، ويكتبها وصية خالدة لأصحاب الهمم حين يقول: «لقد ملك حب الجهاد على حياتي

ونفسي ومشاعري وقلبي وأحاسيسي».. وحين يقول: «إن التعلل بالآمال دون الإعداد لهو شأن النفوس الصغيرة التي لا تطمح أن تصل إلى القمم ولا أن ترقى إلى الذُرَى».

وحين يحدث أولاده «والله ما طقت أن أعيش في قفصي معكم كما تعيش الدجاجة مع فراخها، لم أستطع أن أحيا بارد النفس ونار المحنة تحرق قلوب المسلمين».

وصاحب الهمة لا يتخاذل، ولا يضجر، تراه دائما في حركة دائبة، له في كل شيء فكرة، وفي كل عمل نتاج،... وأحد الصالحين يوصي بالهمة فيقول: «همتك احفظها، فإن الهمة مقدمة الأشياء، فمن صلحت له همته وصدق فيها، صلح له ما وراء ذلك من الأعمال»، وصاحب الهمة ينصحنا فيقول: «اشحذ همتك.. واستعد للبلاء.. فإن أكثر من تنكبوا عن الطريق لضعف هممهم».

والامام الكيلاني يربي غلامه فيقول: «يا غلام! لا يكن همك ما تأكل وما تشرب وما تلبس، وما تنكح وما تسكن وما تجمع، كل هذا هم النفس والطبع فأين هم القلب.. همك ما أهمك، عملك من جنس همك».

ولابن القيم رحمه الله تعالى في الهمة أقوال كثيرة منها قوله: «فالهمة العالية على الهمم كالطائر على الطيور، لا يرضى

بمساقطهم ولا تصله الآفات التي تصل إليهم، فإن الهمة كلما علت بعدت عن وصول الآفات اليها».

يا عبدالله: ألست ممن يستشرف جنة وارفة الظلال، ألست تأمل في القبر روضة من رياض الجنان، ألست تتعوذ من النار.. إذن.. فما بالك تنام!.

أجب داعي الله.. وأكثر من عبادة ربك، وقم إلى صلاتك، واقرأ قرآنك، واعمل لآخرتك، وشارك إخوانك، وجاهد أعداءك، وليكن لك في أهل الهمة قدوة..، ارتق بنفسك..، واصعد لتصل إلى أرقى ما يكون عليه العبد المؤمن القريب من الله.

واعلم أن بواعث الهمة كثيرة من أهمها كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام.. اقرأهما وتدبرهما واحفظهما وسر عليهما، وتدارس سير العظماء والمجاهدين وأصحاب الهمم، وصاحب من تقتدي به من أصحاب الهمة العالية واتخذه صاحبا وملازما، واعلم أن نفسك التي بين جنبيك عدوك الأول.. فانتصر عليها، واستعن بالله ولا تعجز، وإياك ووهن العزيمة، فإن وهنها أسقط أقواما خارت عزائمهم بعد شدة، وترهلت نفوسهم وثقلت إلى الأرض بعد أن كانوا نسورا وصقورا تطلب أعالي الجبال لتسمو إلى عنان السماء.

واعلم أن الله تبارك وتعالى ربى رسوله وعصبة الإيمان معه على تحمل أعباء الدعوة تربية خاصة تنطلق من التوجيه الرباني﴿ يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا﴾[1]، ما أعجبه من زاد.. ذلك زاد الصلاة والقيام.. زاد التسبيح والذكر.. واعلم أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وفقنا الله واياك.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) سورة المزمل: ١

البصيرة التاسعة عشرة

مواجهة العدو اليهودي

إن المسلم الصادق مع ربه لا يستطيع أن يجعل عملا ما محور اهتمامه، فيصرف إليه جهده ونشاطه ما لم يعلم أن ذلك العمل مرضي من الله مقبول لديه. ليس ذلك فقط، بل هو عنده في محل رفيع ومكانة عالية.

ونحن المسلمين اليوم إذ نخطو خطوتنا الأولى لمسيرة إسلامية صادقة ـ إن شاء الله ـ نحو العمل للقضية الفلسطينية، وإرجاع فلسطين إلى أيدي المسلمين الصالحين، يجب أن نسأل أنفسنا، أين موقع العمل للقضية الفلسطينية في الفقه الإسلامي، وما رتبه هذا العمل بين الأعمال الأخرى التي تشغل بال المسلم وتستأثر باهتمامه؟.

لكي ندرك موقع العمل للقضية الفلسطينية في حس المسلم وتصوره يجب أن نعود لبيان الغاية الكبرى التي يريد المسلم تحقيقها في الحياة، وهذه الغاية كما جاءت النصوص

مصرحة بها هي تحقيق العبودية لله رب العالمين ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[1] وتحقيق العبادة يقتضي معرفة منهج الله الذي أراد الله منا تحقيقه في أنفسنا وفي الكون من حولنا على مستوى الفرد وعلى مستوى الأمة، ثم السعي لتحقيق هذا المنهج، فالعبادة دائرة واسعة تشمل جميع نشاطات الإنسان من معرفة الله وأداء حقوقه، والالتزام بالأخلاق والأعمال التي أمر بها، وترك جميع ما نهى عنه.

ولاشك أن اليهود يعدون في مقدمة أعداء الله الذين لعنهم وغضب عليهم، بسبب كفرهم برسوله الخاتم الذي بشرهم به كتابهم وأمرهم باتباعه وطاعته. ولكنهم أبوا وعصوا، هذا بالإضافة إلى الجرائم الكثيرة التي بارزوا الله بها، وأصبحت قواماً للنفسية اليهودية، كنقض عهودهم مع الله، وقتلهم الأنبياء، وتركهم تعاليم الشريعة واتباع السحرة، وتحريفهم كلام الله، وافترائهم على الله، وقولهم إن الله فقير ونحن أغنياء، وقولهم يد الله مغلولة، وإيمانهم بالجبت والطاغوت.. الخ.

أضف إلى هذا شدة عدائهم لهذا الدين وأتباعه من المسلمين ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود**

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

والذين أشركوا﴾[٢] وهو عداء عقائدي مغروس في أعماق القلوب. ذلك أن الله وَكَلَ مهمة قيادة البشرية والقيام على تعليمها وإبلاغها وحي الله إلى هذه الأمة وكان الإسراء بالرسول ﷺ إلى أرض الأنبياء: القدس إيذانا بتحول القيادة العالمية للبشرية من بني إسرائيل إلى هذه الأمة، وإيذاناً بتحول الراية من القدس إلى مكة، ولم تمض سنوات قلائل على الإسراء حتى حولت القبلة، لتصبح مكة هي القبلة العالمية التي أوجب الله على جميع البشر التوجه إليها، فكان عداء اليهود للأمة التي سلبتها أخص ما لديها وأفضل ما عندها عنيفاً شديداً.

وقد عمل اليهود على مر التاريخ الإسلامي على الكيد للإسلام وأهله، عندما يملكون السلاح يرفعونه في وجه المسلمين ويحاربونهم، وعندما يكونون ضعفاء يكيدون لهم بالخفاء. لقد تآمروا على الرسول ﷺ وحاولوا قتله، وأثاروا العرب وجمعوهم لمعركة الأحزاب، وبذروا بذور الشقاق بين المسلمين، وكانوا مصدر إثارة للنفاق، واثار دهاقنة اليهود المسلمين على خليفتهم عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومازالوا يثيرونها فتنة حتى قتل الخليفة الراشد وتفرقت الأمة، وادعوا أن علي بن أبي طالب إله، أو أنه رسول، ولايزال اليهود يخرجون للمسلمين فرقا تدمر

(٢) سورة المائدة: ٨٢.

عقائدهم ومثلهم وأخلاقهم.

وفي العصر الحديث صمم اليهود على إقامة دولة لهم في فلسطين، وعرضوا على خليفة المسلمين عروضا مالية مغرية كي يبيعهم فلسطين فأبى، لأن أرض الإسلام ليست مجالا للمساومة، فتآمروا على دولة الخلافة وعملوا على هدمها من الداخل والخارج، وتم لهم ما أرادوا، عند ذلك أصبح الطريق إلى القدس سالكا أمامهم.

وعندما احتلوا فلسطين لم يرقبوا في أهلها إلّا ولا ذمة، لقد حمى المسلمون اليهود على مرّ التاريخ، وعصموا دماءهم وأموالهم عندما كانوا رعايا في الدولة الإسلامية، ولم يجدوا الأمان في العالم كله إلا تحت حكم المسلمين، ولكنهم عندما تسلطوا عليهم هدموا ديارهم وهتكوا أعراضهم وسلبوهم أموالهم، وفعلوا بهم الأفاعيل.

إن اليهود بعد أن مكنوا لأنفسهم في فلسطين يتطلعون إلى بناء قوة كبرى يسيطرون بها على العالم العربي والإسلامي، ولذلك نراهم يتلمسون مواطن القوة عندنا ليدمروها، ومن القوى المهمة التي يخططون لتدميرها القوة الإيمانية في نفوس المسلمين، وحملة هذه القوة، الذين يحملون الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة، وهم يثيرون علينا الحكام من خلال

عملائهم ونفوذهم وإعلامهم في الشرق والغرب، بل يخططون مع قوى الكفر العالمية لإثارة الحروب والقلاقل بين المسلمين كي يبقى بأس المسلمين بينهم، وبذلك يدمرون أنفسهم بأنفسهم، فتذهب ريحهم وتشتت جهودهم، فيصبحون فريسة سهلة لليهود.

لقد تمكن اليهود اليوم من العالم كله، فهم يحركون الدول العظمى، وبيدهم الإعلام العالمي، والمال عندهم خزائنه، وصدق فيهم قول الله: **﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة﴾**[٣] فالآية تنص على أن غضب الله ملازم لليهود لا يزول عنهم وكذلك المسكنة، أما الذلة فإنها مضروبة عليهم أينما ثقفوا، واستثنى الله من ذلك فقال: **﴿إلا بحبل من الله وحبل من الناس﴾**[٤] فقد شاء الله أن يرفع الذلة عنهم في هذه الأيام ليعاقب بهم المؤمنين الذين خرجوا عن شرع الله، عاقبهم بأذل خلق الله عند الله: اليهود الذين غضب عليهم ولعنهم وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت، وأما حبل الناس فهو هذا الإمداد العالمي، وهو حبل عظيم غليظ قوي لأن الله

(٣) سورة آل عمران: ١١٢.
(٤) سورة آل عمران: ١١٢.

نسبه إلى الناس جميعاً، والمتأمل في أحوال العالم يرى صدق هذا الخبر الإلهي، فالدول كلها ـ اليوم ـ تجمع على مناصرة دولةاليهود والحفاظ عليها، دول المعسكر الشرقي والغربي، بل إن كثيرا من المتنفذين في ديار الإسلام لا يخرجون عن هذا الإطار.

من العرض السابق نستطيع أن نجيب على السؤال الذي طرحناه في البداية وهو: أين موقع العمل لقضية فلسطين في الفقه الإسلامي؟ وما رتبة هذا العمل بين الأعمال الأخرى التي تشغل بال المسلم وتستأثر باهتمامه؟ وفي الجواب نقول: إن هذا العمل يحتل المرتبة الأولى عند قيادة الأمة الإسلامية وعند أبنائها، وعند الملتزمين بشرع الله التزاماً صادقاً، وذلك لأمور عدة:

١ ـ لأن اليهود أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء المسلمين.

٢ ـ ولأنهم اغتصبوا فلسطين وشردوا منها أهلها بغير حق، ومايزالون ينكلون بهم داخل فلسطين وخارجها.

٣ ـ وعداء اليهود ليس خاصا بالفلسطينيين وحدهم أو العرب وحدهم بل هو عداء لكل مسلم.

٤ ـ ولأن اليهود اليوم يحركون الدنيا بما لديهم من إعلام ومال لعداء الحركة الإسلامية وهدم الإسلام وإذلال المسلمين.

٥ ـ واليهود يريدون السيطرة على ديار العرب والمسلمين وتحويل العرب والمسلمين إلى قطيع يعمل لتحقيق مصالحهم.

٦ ـ عداء اليهود هدف تجمع عليه الشعوب الإسلامية، ولا تختلف عليه. فتبني العاملون للإسلام لهدف تجمع عليه الأمة فيه توحيد للأمة ورفع للراية الإسلامية.

٧ ـ مجاهدة أعداء الله اليهود يحقق أمراً إلهياً ربانيا، ويخلص المسلمين من كثير من العفن الذي يعيشون فيه.

٨ ـ تولي اليهود يجلب غضب الله ولعنته، ومحاربتهم باسم الإسلام يبارك النفوس ويزكيها.

٩ ـ حديث القرآن الكريم الطويل عن بني إسرائيل وسيرتهم مع موسى وأنبيائهم الآخرين عليهم السلام، له دلالة كبيرة وواضحة على أن اليهود سيمتد عداؤهم لنا عبر التاريخ بل وسيكونون العدو الأول لنا الذي ينافسنا على الخيرية وأفضلية الأمم ويحملون في سبيل ذلك ركاما هائلا من الحقد الدفين والعداء المستمر، وعلى ذلك فإن خلاصة الصراع اليوم بين الحق والباطل تتمثل في أمة الإسلام في طرف الحق، واليهود ومعهم أعوانهم من القوى الكافرة والأمم الضالة ـ في طرف الباطل.. فاليهود إذن ليسوا عدوا عادياً بل هم رأس الكفر، والذين

يتولون كبر مواجهة جند الله وعباده الصادقين.

١٠ ـ ولقد بات وجود اليهود في فلسطين وما يرافقه من جهود هائلة وإمكانات كبيرة في التخطيط والكيد والتآمر على الأمة ومواجهتها مواجهة حضارية شاملة في كافة الميادين العسكرية والسياسية والاقتصادية والفكرية والأخلاقية.. بات هذا الوجود ـ المغروس في قلب الأمة ـ خطراً كبيراً يهدد مصيرها ومستقبل أجيالها بما يعنيه من احتلال لأراضيها وتدمير لعقيدتها وتدنيس لمقدساتها ونهب لثرواتها وخيراتها وإفساد سياسي في كياناتها وأوضاعها السياسية، علاوة على تدمير شباب الأمة وإفساده وتفريغه من عقيدته..

وهذا الخطر الكبير يعني أن الأمة لا يمكن أن تقوم لها قائمة وتعود إليها الحياة من جديد بعيداً عن التفكير الجاد في مواجهة هذا الخطر والإعداد له، ومن ثَمَّ فإن الأمة الإسلامية مدعوة وبإلحاح إلى التصدي لدورها الكبير في حشد الطاقات وتعبئتها في مواجهة الخطر اليهودي، باعتبار أن الأمة الإسلامية هي وحدها المؤهلة الوحيدة للتصدي للحركة اليهودية الحاقدة وإفشال خططها والقضاء على وجودها الدخيل.. وهذا الدور الهام والكبير لا يتعارض مع الجهود التي تبذل لبعث الأمة

وإقامة دين الله ودولة الإسلام في الأرض.. إنما هما سبيل واحد يكمل أحدهما الآخر، والله تعالى أعلم، ونسأله أن يبصرنا الحق ويعيننا على التزامه والثبات عليه، وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

الفهرس